

# الفتح في القُرْآنِ الكريمِ

دَوَافِعُهُ النَّفْسِيَّةُ وَأَثَارُهُ السَّلَوُكِيَّةُ



تَأَلَّفَ

يُوسُفُ عَلِيَّ حَسَن بَلَد



# الفتح في القُرآن الكريم

دَوَاعِيهِ النَّفْسِيَّةُ وَأَثَارُهُ السُّلُوكِيَّةُ

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

©جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع في مكتبة الكويت الوطنية: 2540-2021

ردمك: 978-9921-770-88-9

الكويت- الجبراء- القيصرية القديمة- كابيتول مول- السرداب محل ٢٤

الموقع الإلكتروني: [www.daradahriah.com](http://www.daradahriah.com)

البريد الإلكتروني: [daradahriah@gmail.com](mailto:daradahriah@gmail.com)

هاتف: +965 99627333 - +965 51155398



### الموزعون المعتمدون

الكويت: دار أندلسية للنشر والتوزيع - (+965) 94747176 - [darandalusia@hotmail.com](mailto:darandalusia@hotmail.com)  
الكويت: مركز طروس للنشر والتوزيع - (+965) 90090146 - [torousq&@gmail.com](mailto:torousq&@gmail.com)  
الرياض: دار التدمرية للنشر والتوزيع - (+966) 114925192 - [tadmoria@hotmail.com](mailto:tadmoria@hotmail.com)  
المدينة المنورة: مكتبة اليمينة المدنية - (+966) 558343947 - [daralmimna@gmail.com](mailto:daralmimna@gmail.com)  
جدة: مكتبة الشثقيطي للنشر والتوزيع - (+966) 504395716 - [hassan\\_hyge@hotmail.com](mailto:hassan_hyge@hotmail.com)  
مكة المكرمة: المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع - (+966) 125273037 - [alasadi2000@hotmail.com](mailto:alasadi2000@hotmail.com)  
مصر الجديدة: مفكرون الدولية للنشر والتوزيع - (+2) 01110117447 - [mofakroun@gmail.com](mailto:mofakroun@gmail.com)  
اسطنبول (منطقة الفاتح): دار الأصالة - (+90) 2125118547 - [asalet@asaletyayinlari.com.tr](mailto:asalet@asaletyayinlari.com.tr)

لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله بأي شكل أو واسطة -أو أي جزء منه-، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي) أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من دار الظاهرية للنشر والتوزيع.



# الفتح في القُرآن الكريم

دَوَافِعُهُ النَّفْسِيَّةُ وَأَثَارُهُ السُّلُوكِيَّةُ

تَأَلَّفَ

يُوسُفُ بْنُ عَلِيٍّ حَسَنَ بَدْرٍ

أَصْلُ هَذَا الْبَحْثِ رِسَالَةً مَاجِسْتِيرَ ٢٠١٤ م

دَارُ الظَّاهِرِيَّةِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الإهداء

أهدي هذا البحث إلى «السعيدة» وهي تصارع في كل اتجاه لتحافظ على وصفها الموغل في التاريخ.  
إلى أرض الإيمان والحكمة وهي تُظهر إيمان أهلها وحكمتهم في مواجهة الكيد الكُبار.

وأرجو الله بفضله أن يعيد لها سعادتها ولأهلها طمأنينتهم.  
من خاطر اليمن الخضرا ومهجتها      هذي الأغاريد والأصدقاء والفكرُ  
يا أميَ اليمنَ الخضرا وفاتنتي      منك الفتونُ ومني العشقُ والسهرُ<sup>(١)</sup>

---

(١) ديوان عبد الله البردوني رحمه الله. الأعمال الشعرية (ج ١ / ص ٥٨).



## كلمة شكر

أحمد الله سبحانه على توفيقه لاختيار هذا البحث وإتمامه البحث، وأشكر أمي وأبي حفظهما الله؛ فكل خير أنا فيه هما سببه، وأسأل الله أن يجمعني بهما ويوفقني لبرهما.

كما أشكر زوجتي أم عمرو التي صبرت على انقطاعي للبحث، وبذلت ولا تزال في تربية أولادي وملء الفراغ الذي أتركه حيالهم بالعناية بهم.

وأشكر أستاذي الدكتور علي عبد الرحمن باعلوي -رحمة الله تغشاه- على إشرافه على رسالتي التي هي أصل هذا الكتاب، فقد كان معلما ناصحا، ومربيا قديرا، أسأل الله أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته.

كما أشكر كل من أعانني في طريق البحث وأخص منهم أخي الغالي الدكتور جميل المليكي وأخي خلدون السامعي.

كتب الله أجر الجميع..





## الفصل التمهيدي

### \* المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن المناهج الموجودة في الأرض اليوم لا تكاد تعد ولا تحصى، وكلها مناهج تدّعي قدرتها على إسعاد الإنسان وحل مشكلاته.

غير أنه لا يوجد فيها منهج يدعي أنه من عند خالق هذا الإنسان - ويستطيع إثبات ذلك - إلا منهج الإسلام من خلال القرآن الكريم.

كما أن الله عز وجل خلق الإنسان وهو أعلم به وبحاجته، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وقد قصر هداية الناس عليه، فلا ينالونها إلا منه سبحانه، قال عز وجل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [الليل: ١٢]، فالهدى عليه سبحانه وحده، ومنه وحده.. ولا تكون الهداية إلا بإحاطتها بجميع حاجات الناس في جميع المجالات الإنسانية، والتي من أهمها المجال النفسي والمجال السلوكي.

ومعلوم أن الدراسات النفسية والاجتماعية - على تنوعها - تواجه عوائق وصعوبات تحول دون التطبيق الشامل للمنهج العلمي فيها، على خطورة شأنها وأهميتها البالغة؛ ذلك أنها تتعلق بالإنسان مباشرة، هذا المخلوق المستخلف في الأرض ليعمرها على مراد الخالق سبحانه وتعالى.

ومعرفة أسرار النفس الإنسانية من أهم العلوم؛

١ - لتقويمها وتوجيهها التوجيه الصحيح.

٢ - وحماية الإنسان من الإنسان غير السوي.

ومن الانفعالات النفسية التي لا تفارق الإنسان، إما أن يعيشها وإما أن يسعى إلى أن يعيشها: الفرح، وهي من الأهمية بمكان؛ حيث إن الفرح لا يوجد إلا بمتغيرات مؤثرة، وهذه المتغيرات تختلف من شخص لآخر.

### \* موضوع البحث ومبرراته:

اخترت هذا الموضوع؛ لأنني رأيت الناس جميعاً يسعون إلى تحقيق السعادة والفرح والسرور، ويفرون من الهم والحزن والتعاسة.

ولأن الحياة ستكون أكثر ملاءمة وهدوءاً وسعادة إذا أعطى الإنسان للأشياء التي يفرح بوجودها ويحزن على فقدانها حجمها المناسب؛ فإن كثيراً مما يظن بعض الناس أن الفرح يتحقق بالحصول عليه؛ يعيش بدونه أناس آخرون وهم سعداء.

كما أن التوازن في هذا الموضوع يُكسب المجتمع آثاراً إيجابية يولدها الفرح المحمود، ويخلصه من الآثار السلبية التي يفرزها الفرح المذموم.

### \* أسئلة البحث وأهدافه:

يمكن صياغة موضوع البحث بالسؤال التالي:

ما هو الفرح؟ وما دوافعه النفسية وآثاره السلوكية في القرآن الكريم؟

وتتفرع عنه الأسئلة الآتية:

س ١: ما الفرح المحمود؟ وما هي دوافعه النفسية؟ وما آثاره السلوكية في القرآن؟

س ٢: ما الفرح المذموم؟ وما هي دوافعه النفسية؟ وما آثاره السلوكية في القرآن؟

س ٣: ما الفرح المباح؟ وما هي دوافعه النفسية؟ وما آثاره السلوكية في القرآن؟

والأجوبة عنها هي أهداف البحث.

### \* أهمية البحث:

وتكمن أهمية الموضوع من حيث إنه يدرس ظاهرة نفسية من خلال الآيات التي تناولت هذه الظاهرة، ويستند إليها استناداً كلياً؛ لأنها كلام الحق سبحانه وتعالى خالق هذه النفوس القائل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

ودراسة هذا الموضوع -من خلال الآيات القرآنية- سيساعد في تجاوز الكثير من «العوائق والصعوبات التي تواجهها الدراسات النفسية والاجتماعية، مثل:

١- تعقيد الظواهر الاجتماعية؛ لأنها تدرس الإنسان والسلوك الإنساني، والذي يتأثر بالعديد من العوامل النفسية والمزاجية، فلا يوجد شخصان متشابهان تماماً، ولكن هذا لا يعني أنهما مختلفان تماماً.

٢- عدم القدرة على استخدام الطريقة المخبرية، وهي صعوبة وضع الظواهر الاجتماعية تحت ظروف الضبط والرقابة التامة، أو إجرائها داخل المختبرات.

٣- فقدان التجانس بين الظواهر الاجتماعية والإنسانية وتباينها: حيث يوجد للظواهر شخصيتها المنفردة - خاصة في الظواهر الإرادية - ومن الصعوبة تجريد العوامل الإنسانية للوصول إلى قانون عام.

٤- صعوبة دراسة الظواهر الإنسانية بموضوعية تامة بعيدا عن العواطف الشخصية، مما يحد من عمومية وشرعية نتائج البحوث في هذا المجال؛ لأن من يدرسها هو الإنسان أيضا، وهو جزء من المادة التي يلاحظها<sup>(١)</sup>.

فدراسة ظاهرة الفرح ومرادفاته من خلال كتاب الله سبحانه وتعالى يعني تجاوز العوائق والعقبات التي تواجه الدراسات النفسية، والوصول إلى نتائج يمكن الاستفادة منها في التربية والتوجيه.

كما أن هذا الموضوع لم أر - في حدود معرفتي المتواضعة جدا - من اعتنى به ودرسه دراسة علمية تعطيه حقه من العناية والتركيز، اللهم إلا مقالات وخطباً غير مستوعبة.

#### \* حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة على استقراء الآيات القرآنية التي تتحدث عن الفرح والكلمات المرادفة أو المكافئة له، وما يفسرها من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن كتب التفسير، وكتب علم النفس.

#### \* منهج البحث:

دراسة ظاهرة الفرح في القرآن الكريم، والمتغيرات المؤثرة في وجودها أو انعدامها؛ يناسبها المنهج الاستنباطي من خلال:

(١) أساليب البحث العلمي. د. فايز النجار وآخرون (ص ١١، ١٢).

- ١- جمع الآيات القرآنية التي تذكر الفرح وما يرادفه أو يكافئه من الكلمات.
- ٢- ثم استخراج عبارة النص أو إشارته لأي دافع أو أثر أو حكم، من خلال الرجوع إلى كتب التفسير.
- ٣- ثم تصنيف المادة العلمية وتوزيعها على مكونات الدراسة الأساسية المتمثلة في الفرح ومرادفاته، في ثلاثة محاور رئيسية:
- الفرح المحمود: دوافعه النفسية وآثاره السلوكية.
- الفرح المذموم: دوافعه النفسية وآثاره السلوكية.
- الفرح الذي يدور بين المدح والذم؛ بحسب دوافعه وآثاره.

#### \* مصطلحات الدراسة:

##### أ- الفرح:

هو السرور، ومن قائل: الفرح نقيض الحزن، وقال ثعلب: هو أن يجد في قلبه خفة.. وقال البغوي: الفرح: لذة في القلب بنيل المشتهى، ومثله قال الجرجاني في تعريفاته.. وقال الراغب الأصفهاني: الفرح: انشراح الصدر بلذة عاجلة.. فالفرح عند البغوي والجرجاني هو اللذة، وعند ثعلب والراغب أثر اللذة من الخفة أو انشراح الصدر.

يقال: فَرِحَ فهو فَرِحٌ وفَرُوحٌ وفَرَحٌ وفَرَحٌ وفَرَحان، وهم فَرَاخٌ وفَرَحَى، وامرأة فَرِحَة وفَرَحَى وفَرَحانة، وفَرَاحة. والمفراح: الكثير الفرح، والفُرحة -بالضم- المسرة، ويفتح<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص ٦٢٨-٦٢٩)، معالم التنزيل. الإمام البغوي (ج ٢/ ص ٤٤١-٤٤٢ ج ٣/ ص ٢٠)، لسان العرب (ج ١١/ ص ١٤٧-١٤٨)، القاموس المحيط (ص ٢٩٨)، كتاب التعريفات.

والفرح في القرآن الكريم يأتي على ثلاثة أوجه حسب تقسيم يحيى بن سلام<sup>(١)</sup> رحمه الله:

الوجه الأول: معناه المتبادر إلى الذهن، وهو الذي قال عنه يحيى بن سلام رحمه الله: «هو الفرح بعينه»، وذكر له العلماء تعريفات مختلفة؛ يرجع تنوعها إلى اختلاف نظر العلماء في أسبابه أو آثاره، غير أنها جميعاً تدور حول السرور والابتهاج، كما سبق قبل أسطر.

وذكر الراغب الأصفهاني أن أكثر ما يطلق الفرح في القرآن على اللذات البدنية الدنيوية<sup>(٢)</sup>.

الوجه الثاني: الفرح بمعنى البطر والمرح والأشر، فيقال لمن استخفته النعمة، وصاحب الكليات -وهو يذكر التقارب بين معاني الفرح والسرور والحبور- يخص الفرح بما يورث أشراً أو بطراً؛ واستدل لذلك بأنه كثيراً ما يُدْمَم. بينما يستعمل السرور والحبور في الفرح المحمود، قال الله تعالى حكاية عن قوم قارون: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] يعني: لا تبطر ولا تمرح؛ إن الله لا يحب البطرين المرحين<sup>(٣)</sup>. غير أن القرآن لم يخصه به فقد قال

للجرجاني (ص ٢٤٤)، المعجم الوسيط (ص ٦٧٩).

(١) هو يحيى بن سلام البصري. قال الحافظ: حدث بالمغرب وتوفي بمصر بعد رجوعه من الحج لأربع بقين من صفر سنة مائتين، وقال أبو العرب في طبقات القيروان: كان مفسراً، وكان له قدر ومصنفات كثيرة في فنون العلم، وكان من الحفاظ ومن خيار خلق الله (لسان الميزان لابن حجر ٦/ ٢٥٩-٢٦٠).

(٢) انظر: التصاريف. يحيى بن سلام (ص ٢٤٤)، المفردات (ص ٦٢٨-٦٢٩)، القاموس المحيط (ص ٢٩٨)، لسان العرب (ج ١١/ ص ١٤٧-١٤٨)، المعجم الوسيط (ص ٦٧٩).

(٣) التصاريف. (ص ٢٤٤) القاموس (ص ٢٩٨)، اللسان (ج ١١/ ص ١٤٧-١٤٨)، الكليات. لأبي البقاء الكفوي (ص ٥٠٨)، المعجم الوسيط (ص ٦٧٩).



سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

الوجه الثالث: الفرح بمعنى الرضا، وذلك في مثل قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الرعد: ٢٦] يعني: ورضوا بالحياة الدنيا، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]، وكقوله في سورة الروم: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ يقول: راضون، وكقوله في حم المؤمن: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣] يعني: رضوا بما عندهم من العلم<sup>(١)</sup>.

### ب- كلمات مرادفة للفرح:

١- السرور: أصل السرور والمسرة: أطراف الرياحين، وسرّه: حياه بها..  
والسرّ والسراء والسرور والمسرة، كله: الفرح، يقال: سررت برؤية فلان، وسرني لقائوه، وقد سررته أسرّه، أي: فرحته.

وقال الجوهري: السرور خلاف الحزن<sup>(٢)</sup>.

٢- الاستبشار: هو من البشر، وهو الطلاقة.. واستبشر وتبشّر وبشّر: فرح، قال الفيومي: بشّر بكذا: كـ«فرح»، وزناً ومعنى، وهو: الاستبشار أيضاً.  
وقال الزمخشري رحمه الله تعالى: الاستبشار: أن يمتلئ قلبه سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل.

(١) التصاريف (ص ٢٤٤)، والمعجم الوسيط (ص ٦٧٩).

(٢) انظر: الصحاح، للجوهري، (ج ٤ / ص ٨٠)، لسان العرب (ج ٧ / ص ١٦٩) والقاموس (ص ٥٢٠ - ٥٢١).

وقال ابن جرير: البشارة في كلام العرب، هي: إعلام الرجل بما لم يكن به عالما مما يسره من الخبر، قبل أن يسمعه من غيره، أو يعلمه من قبل غيره.  
وقال الحافظ ابن حجر: والبشير هو الذي يخبر المرء بما يسره من خير، وقد يطلق في الشر مجازاً<sup>(١)</sup>.

٣- الضحك: معروف، وإنما ألحقته بهذا المبحث؛ لأنه -في العادة- من آثار الفرح.

٤- السعادة: هي خلاف الشقاوة، وقد سعد يسعد سعدا وسعادة، فهو سعيد: نقيض شقي.. وسَعِدَ -بالضم- فهو مسعود، والجمع سعداء، والأنثى بالهاء.. وإذا قيل: أسعد الله العبد وسعده؛ فمعناه: وفقه الله لما يرضيه عنه فيسعد بذلك سعادة<sup>(٢)</sup>.

٥- انشراح الصدر: يقال: شرح الله صدر فلان لقبول الخير، يشرحه شرحاً فانشرح: وسّعه لقبول الحق فاتسع، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وفي حديث الحسن، قال له عطاء: أكان الأنبياء يَشْرَحُونَ إلى الدنيا مع علمهم بربهم؟ فقال له: نعم، إن لله تَرَائِكَ في خلقه، أراد: كانوا ينبسطون إليها ويشرحون صدورهم ويرغبون في اقتنائها رغبة واسعة<sup>(٣)</sup>. ١.هـ

(١) انظر: تفسير الطبري (ج ١/ ص ٥٠٤)، الكشف (ج ٤/ ص ١٠٢)، مدارك التنزيل (ص ١٠٤٠)، لسان العرب (ج ٢/ ص ٩٠-٩١)، المصباح المنير (ص ٣١)، فتح الباري (ج ٦/ ص ٤٧٢).  
(٢) اللسان (ج ٧/ ص ١٨٥-١٨٦)، القاموس (ص ٣٦٨).  
(٣) لسان العرب (ج ٨/ ص ٥٠).

ولا شك أن منشراح الصدر يشعر بالفرح والسرور، بخلاف ضيق الصدر، ولذا عرف الراغب الفرح بأنه: انشراح الصدر، كما سبق.

٦- اللذة: هي نقيض الألم، واحدة اللذات، وهي سبب الفرح، ولذا عرفه البغوي والجرجاني بأنه لذة، وعرفه الراغب الأصفهاني بأنه ناشئ عن اللذة، كما سبق.

بل إن العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى يجعل الفرح واللذة معنيين للمصلحة فيقول: المصلحة: لذة أو سببها، أو فرحة أو سببها<sup>(١)</sup>.

٧- الحياة الطيبة: هي الحياة التي فيها لذة، قال المجد: طاب يطيب طاباً وطيباً وتطياً: لذّ وزكا، وعزاه في اللسان لابن سيده<sup>(٢)</sup>.

٨- قرة العين: قال بعض أهل اللغة: إنّ «قرّت عينه» مأخوذ من القُرور، وهو الدمع البارد يخرج من الفرح.. قال الأصمعي: أبرد الله دمعته؛ لأن دمة السرور باردة، وأقر الله عينه مشتق من القُرور وهو الماء البارد.

وقال أبو طالب: أقر الله عينه: أنام الله عينه، والمعنى: صادف سرورا يُذهب سهره فينام، وأنشد: «أقر به مواليك العيون» أي: نامت عيونهم لما ظفروا بما أرادوا<sup>(٣)</sup>.

٩- المرح: هو شدة الفرح والنشاط حتى يجاوز قدره.

(١) مختصر الفوائد في أحكام المقاصد، للعز بن عبد السلام (ص ١٠٩)، لسان العرب (ج ١٣/ ص ١٩٢).

(٢) لسان العرب (ج ٩/ ص ١٦٨)، القاموس المحيط (ص ١٤١).

(٣) لسان العرب (ج ١٢/ ص ٦٤) باختصار.

ولذا يعرفونه بالتبخر والاختيال، وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧] أي متبخرا مختالا.

أو بالأشْر والبطر، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥].

ويعرفه الطاهر بن عاشور بـ: شدة ازدهاء المرء وفرحه بحاله في عظمة الرزق.

وقد مَرِحَ مَرَحًا وَمَرَاحًا، ورجل مَرِحٌ من قوم مَرَحِي وَمَرَاحِي<sup>(١)</sup>.

ج- معاني: الدوافع، النفس، الأثر، السلوك:

١- الدافع: أصل الدفع: الإزالة بقوة<sup>(٢)</sup>.. والمراد به هنا: القوة الداخلية التي

تثير السلوك تحريكا وتوجيها إلى غاية أو هدف يرضيه<sup>(٣)</sup>.

٢- النفسي:

أما النفس فقد قال أهل اللغة: هي في كلام العرب على ثلاثة أوجه:

أحدها: نفس الرُّوح التي بها الحياة.

وثانيها: نفس العقل التي يكون بها التمييز، قال الزجاج: وهي التي تفارقه

إذا نام فلا يعقل بها، يتوفاها الله، كما قال جل وعز.

وثالثها: معنى النفس: حقيقة الشيء وجملته، أي: عين الشيء وكنهه

وجوهره، فيعبر بها عن الإنسان جميعه، يقال: قتل فلان نفسه.

(١) لسان العرب (ج ١٤ / ص ٤٨)، القاموس (ص ٣٠٨)، التحرير والتنوير (ج ١٥ / ص ١٠٣).

(٢) لسان العرب (ج ٥ / ص ٢٧٤).

(٣) أصول علم النفس. د/ أحمد عزت راجح (ص ٨٠).

ولا يخفى أن المراد بالنفس في هذا البحث هو نفس الروح والحياة، التي اختلفوا فيها هل هي مرادفة للروح أو مغايرة له، وعرفها ابن القيم -على قول الجمهور بمرادفتها للروح- بأنها: «جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم»<sup>(١)</sup>.

غير أن «النفس» المضاف إليه «الدافع» عند علماء النفس يراد به اصطلاح عام:

أ- يشمل ما هو عقلي أو ذهني كالتفكير والتذكر.

ب- كما يشمل ما هو وجداني أو انفعالي كالشعور بالفرح أو الحزن أو الخوف<sup>(٢)</sup>.

٣- السلوك: مصدر سلك طريقاً... والسلوك: نشاط يصدر عن دافع، ويهدف إلى غاية هي إرضاء ذلك الدافع.

فهو: كل ما يصدر عن الإنسان من استجابات مختلفة إزاء موقف يواجهه. ويقصد بالاستجابة: كل نشاط يثيره منبه أو مثير<sup>(٣)</sup>.

الأثر: بقية الشيء، ما بقي من رسمه، والجمع آثار وأثور.. والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء، وأثر في الشيء: ترك فيه أثراً<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٥/ ٤٦٠-٤٦١)، الروح (ص ٤٠٢، ٤٦٢)، وانظر مفردات الراغب (ص ٨١٨).

(٢) أصول علم النفس. (ص ٢٥).

(٣) الدوافع النفسية. د/ مصطفى فهمي (ص ١٥)، أصول علم النفس (ص ٢١، ٢٧، ٢٩).

(٤) اللسان (٥٢/١) وانظر القاموس (ص ٤٣٥).

والمقصود هنا: ما يتركه الفرح من أثر على سلوك الإنسان، أي: الاستجابة السلوكية لدافع الفرح.

## الفصل الأول

### الفرح المحمود

#### تمهيد:

المقصود بالفرح المحمود: ما كان فرحاً مطلوباً شرعاً؛ لما فيه من رضا الله سبحانه وتعالى ونفع الناس، فهو فرح مطلوب مطلقاً، لأننا سنعرف في الفصل الرابع إن شاء الله أن من الفرح ما يكون محموداً في حال ومذموماً في حال، مع أن متعلّقه واحد؛ غير أن الدافع له أو الأثر السلوكي الناشئ عنه يجعله في عداد الفرح المحمود أو الفرح المذموم.

في صحيح البخاري<sup>(١)</sup> عن أبي بردة، عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم، أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم، إما قال: بضع، وإما قال: في ثلاثة وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينة، فألقتنا سفيتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر.

وكان أناس من الناس يقولون لنا، يعني لأهل السفينة: سبقناكم بالهجرة، ودخلت أسماء بنت عميس، وهي ممن قدم معنا، على حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر

(١) كتاب المغازي (ح ٤٢٣٠، ٤٢٣١).



على حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم، قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه وسلم منكم، فغضبت وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم، ويعط جاهلكم، وكنا في دار - أو في أرض - البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله صلى الله عليه وسلم، وإيم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا، حتى أذكر ما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ، ولا أزيد عليه.

فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت: يا نبي الله إن عمر قال: كذا وكذا؟ قال: «فما قلت له؟» قالت: قلت له: كذا وكذا، قال: «ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم - أهل السفينة - هجرتان»، قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالا، يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم، قال أبو بردة: قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني.

وللفرح المحمود صور كثيرة، نذكر منها ما يلي في المباحث الآتية:

## المبحث الأول

### الفرح بالإيمان والتقوى

#### المطلب الأول: تعريف الإيمان وتعريف التقوى:

أما الإيمان لغة: فهو التصديق مع الثقة وإظهار الخضوع، قال الزمخشري: وما أو من بشيء مما تقول، أي ما أصدق ولا أثق.

فالإيمان ليس مرادفاً للتصديق - كما يقوله كثير من المتكلمين - بل يدل على طمأنينة بخبر المخبر أكثر من: (صدقتُ)، ولهذا يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأنه لو فُسِّرَ بالإقرار لكان أجود، فهو تصديق وزيادة، وهي الأمن والطمأنينة، فهو متضمن للالتزام بالمؤمن به<sup>(١)</sup>.

وفي الشرع: الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويتفاضل أهله فيه<sup>(٢)</sup>.

وأما التقوى: فهي في اللغة: من اتقى الشيء وتقيته أتقىه تقياً وتقية وتقاء: حذرته، والاسم: التقوى.

(١) انظر: أساس البلاغة للزمخشري (ص ٢٢)، مختار الصحاح (ص ٢٩)، القاموس المحيط (ص ١٥١٨)، الإيمان الأوسط لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٧٧ - ٨٠)، بريق الجمان بشرح أركان الإيمان، لشيخنا الدكتور محمد محمدي النورستاني (ص ٢١ - ٢٣).

(٢) انظر: أصول السنة للحميدي (ص ٤٩). وكتاب الإيمان، للحافظ ابن أبي شيبه (ص ٥٠)، وأصول السنة للإمام أحمد (ص ٢٩)، وصریح السنة للإمام الطبري (ص ٤٤) كلاهما ضمن الجامع في متون العقيدة والتوحيد، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للحافظ اللالكائي (ج ٤ / ص ٩١١)، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الدمشقي الحنفي (ج ٢ / ص ١٠٧)، أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي (ص ٤٥)، بريق الجمان (ص ٢٣).

وأما في الاصطلاح، فهي: الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، بصيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك<sup>(١)</sup>.

وحرر الإمام الغزالي الكلام عن التقوى في اللغة، وإطلاقها في القرآن، ومنازلها، وخرج بتعريف للتقوى مختصر جامع فقال: التقوى هو اجتناب كل ما تخاف منه ضررا في دينك<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثاني: سبب الفرح بالإيمان والتقوى:

إذا عرفنا حقيقة الإيمان وحقيقة التقوى، فإن الفرح بهما من أعظم صور الفرح المحمود، فالمؤمن يفرح بإيمانه وتقواه؛ لأنه يحقق مراد الله سبحانه وتعالى في الأرض، ويرضى الله عنه فيرضيه، وعليه استحق البشارة بخيري الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرٌ ﴿١٤﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

وتنوعت أقوال المفسرين في «البشرى» التي بشر الله بها أوليائه ما هي؟ وما صفتها؟

فقال بعضهم: هي الرؤية الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له، وفي الآخرة الجنة.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، قال النبي

(١) القاموس المحيط (ص ١٧٣١)، معجم التعريفات للجرجاني (ص ٥٨)، المعجم الوسيط (ص ١٠٥٢).

(٢) منهاج العابدين (ص ٢٧).

صلى الله عليه وآله وسلم: «الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له»، وسأله عبادة بن الصامت رضي الله عنه فأجابه نفس الجواب<sup>(١)</sup>.  
وقال آخرون: هي بشارة يبشّر بها المؤمن في الدنيا عند الموت.. وعزاه الطبري بأسانيده لقتادة والضحاك.

وقول ثالث: أنها ثناء الناس على المؤمن. قال أبو ذر رضي الله عنه: قيل لرسول الله: أرايت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «تلك عاجل بشرى المؤمن»<sup>(٢)</sup>.

فنخلص -إذن- مما سبق بأن بشارة الله للمؤمن تكون في ثلاثة مواطن:  
- في الدنيا:

بالرؤيا الصالحة يراها أو تُرى له.

وبثناء الناس عليه بأعمال أخلص فيها لله فأطلع الله عباده عليها.  
- وعند الموت:

حين تبشّره الملائكة برحمة الله ورضوانه، كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أن الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه، تقول لنفسه: اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك في البرزخ حين يوسع له في قبره ويبشّر بالجنة.

(١) المسند (ج ٥ / ص ٣٢٥) (ج ٦ / ص ٤٤٥)، جامع الترمذي (كتاب الرؤيا، ح ٢٢٧٣، ٢٢٧٥) وقال

السيوطي في الإكليل (ص ٣٧٧): فهو أصل في تعبير المنام.

(٢) صحيح مسلم. كتاب البر والصلة، (ح ٢٦٤٢).

(٣) هو حديث البراء بن عازب الطويل، في مسند الإمام أحمد (ج ٤ / ص ٢٨٧).

- ويوم القيامة لما يبشر المؤمن بالجنة، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥]، نسأل الله أن يجعلنا من أهلها.

وهذا التعميم في البشارة هو الذي رجحه الطبري رحمه الله تعالى<sup>(١)</sup>.

قال ابن المقفع رحمه الله: السعيد يرغبه الله في الآخرة حتى يقول: لا شيء غيرها، فإذا هضم دنياه وزهد فيها لآخرته، لم يحرمه الله بذلك نصيبه من الدنيا ولم ينقصه من سروره فيها.

والشقي يرغبه الشيطان في الدنيا حتى يقول: لا شيء غيرها، فيجعل الله له التنغيص في الدنيا التي أثر مع الخزي الذي يلقي بعدها<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثالث: أمثلة للفرح بالإيمان:

١- ومن أمثلة الفرح الذي يتنعم به المؤمن عند لقاء الله سبحانه وتعالى فرحه بصومه، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «قَالَ اللَّهُ: ﴿كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ﴾».

(١) انظر: جامع البيان (ج ١١ / ص ١٥٩)، معالم التنزيل (ج ٢ / ص ٤٢٦)، المحرر الوجيز (ج ٤ / ص ٤٩٩)، الجامع لأحكام القرآن (ج ٨ / ص ٣٢١)، مدارك التنزيل (ص ٤٧٨)، تفسير القرآن العظيم (ج ٢ / ص ١١٣٤)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٥٠٠)، التحرير والتنوير (ج ١١ / ص ٢١٩).

(٢) الأدب الصغير. ابن المقفع ت. الأستاذ أحمد زكي باشا. جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية ١٣٢٩هـ ١٩١١م (ص: ٥٩).

وَالصَّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَاءَتْهُ  
أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ.. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فِيمَ الصَّائِمِ  
أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ،  
وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»<sup>(١)</sup>.

قال أبو عمر القرطبي رحمه الله: معناه فرح بزوال عطشه وجوعه حين  
أبيح له الفطر، وهذا الفرح طبيعي وهو السابق للفهم.  
وقيل إن فرحه بفطره إنما هو من حيث أنه تمام صومه، وخاتمة عبادته،  
وتحقيق ربه، ومعونة على مستقبل صومه. ١. هـ<sup>(٢)</sup>.

ورجحه الإمام النووي رحمه الله حيث نقل عن العلماء: أن سبب فرحته  
عند لقاء ربه ما يراه من جزائه وتذكر نعمة الله تعالى عليه بتوفيقه لذلك، وأما عند  
فطره فبسببها تمام عبادته وسلامتها من المفسدات، وما يرجوه من ثوابها<sup>(٣)</sup>.

ويجمع الحافظ ابن حجر بين القولين فيقول: ولا مانع من الحمل على  
ما هو أعم مما ذكر، ففرح كل أحد بحسبه؛ لاختلاف مقامات الناس في ذلك،  
فمنهم من يكون فرحه مباحا وهو الطبيعي، ومنهم من يكون مستحبا وهو من  
يكون سببه شيء مما ذكره.

أما قوله: «وإذا لقي ربه فرح بصومه» أي بجزائه وثوابه، وقيل: الفرحة الذي  
عند لقاء ربه: إما لسروره بربه، أو بثواب ربه على الاحتمالين. قلت: والثاني

(١) مسند أحمد (ج ٢ / ص ٢٣٢)، البخاري كتاب الصيام (ح ١٩٠٤) واللفظ له، ومسلم كتاب الصيام  
(ح ١١٥١).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (ج ٣ / ص ٢١٦).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (ج ٨ / ص ٣١ - ٣٢).

أظهر؛ إذ لا ينحصر الأول في الصوم، بل يفرح حينئذ بقبول صومه وترتب الجزاء الوافر عليه<sup>(١)</sup>. ا.هـ.

ففي هذا الحديث -إذن- أنواع من الفرح:

\* الفرح المباح بالفطر بعد الصوم،

\* والفرح المحمود بالتوفيق للعمل الصالح الذي هو من الإيمان ومن تقوى الله،

\* والفرح في الدار الآخرة.

٢- الفرح بالصلاة، وتقديمها في القلب على ملاذ الدنيا التي يفرح بها المؤمن فرحاً مباحاً، غير أنه لا يغلب على فرحه بصلاته، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدوتنا في ذلك، فهو يقول فيما يرويه عنه أنس بن مالك رضي الله عنه: «حُبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»<sup>(٢)</sup>. وإنما كانت الصلاة قرّة عينه صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه كان -حالة كونه فيها- مجموعَ الهم على مطالعة جلال الله تعالى، فيحصل له من آثار ذلك ما تقر به عينه.. فهي محل المناجاة ومعدن المصافاة.. ومنه قوله: «يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها»<sup>(٣)</sup> أي اشغلنا عما سواها بها، فإنه تعب وكدح، وإنما الاسترواح في الصلاة؛ فأرحنا بندائك بها.

(١) فتح الباري (ج ٤/ ص ١١٨).

(٢) مسند الإمام أحمد (ج ٣ / ص ١٢٨)، سنن النسائي. كتاب عشرة النساء (ح ٣٩٣٩)، وحسن إسناده

الأرنؤوط في تحقيق المسند (ج ١٩ / ص ٣٠٥)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب (ح ٤٩٨٥) وصححه الألباني.



وعبر في أمر الدين بعبارة أبلغ مما عبر به في أمر الدنيا على مجرد التحبيب، وقال في أمر الدين: «جعلت قرّة عيني» فإن في قرّة العين من التعظيم في المحبة ما لا يخفى<sup>(١)</sup>.

٣- ومن الفرح المحمود بالإيمان: الفرح بثواب الله و قبول العمل بعد الشك في إمكان رده وعدم قبوله، وله أمثلة في حياة الصحابة، وهذه منها:

**المثال الأول:**

ما حصل لأبي الدرداء رضي الله عنه الصحابي الجليل فيما رواه أحمد و أبو داود<sup>(٢)</sup> عن قيس بن بشر التغلبي قال: أخبرني أبي - وكان جليسا لأبي الدرداء رضي الله عنه - قال: كان بدمشق رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم يقال له ابن الحنظلية<sup>(٣)</sup>، وكان رجلا متوحدا قلما يجالس الناس، إنما هو في صلاة، فإذا فرغ فإنما يسبح ويكبر حتى يأتي أهله.

فمر بنا يوما ونحن عند أبي الدرداء، فقال له أبو الدرداء: كلمة تنفعنا ولا تضرّك، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرية فقدمت، فجاء رجل منهم فجلس في المجلس الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

(١) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، للحافظ المناوي، (ج ١ / ص ٤٨٦، ٤٩٣) وفيض القدير شرح الجامع الصغير له (ج ٣ / ص ٣٧٠)، ومرقاة المفاتيح للعلامة القاري (ج ٩ / ص ٤٤٨).

(٢) مسند الإمام أحمد (ج ٤ / ص ١٧٩) (ح ١٧٦٥٩) - سنن أبي داود، كتاب اللباس (ح ٤٠٨٩) وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، وقال الأرئوط في تخريج المسند (ج ٢٩ / ص ١٥٩): إسناده محتمل للتحسين.

(٣) اسمه سهل، والحنظلية أمه، وقيل غير ذلك، وهو سهل بن الربيع بن عمرو الأنصاري الأوسي، كان ممن بايع تحت الشجرة، ومات بدمشق في أول خلافة معاوية، انظر: الاستيعاب بهامش كتاب الإصابة (ج ٢ / ص ٩٥) .. وذكر ابن حجر أن المشهور أن اسم أبيه عمرو بن عدي، انظر الإصابة (ج ٢ / ص ٨٦).

فقال لرجل إلى جنبه: لو رأيتنا حين التقينا نحن والعدو فحمل فلان فطعن فقال: خذها وأنا الغلام الغفاري، كيف ترى في قوله؟ قال: ما أراه إلا قد أبطل أجره، فسمع ذلك آخر فقال: ما أرى بذلك بأسا.

فتنازعا حتى سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «سبحان الله، لا بأس أن يُحمد ويؤجر».

قال: فرأيت أبا الدرداء سُرَّ بذلك، وجعل يرفع رأسه إليه ويقول: أنت سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقول: نعم، فما زال يعيد عليه حتى إني لأقول: ليبركن على ركبتيه... الحديث.

قال العلامة السندي رحمه الله: (ليبركن على ركبتيه) من كثرة فرحه، وذكر أن معنى الحديث: أي لا بأس أن يجتمع له الأجر من الله تعالى والحمد من الناس بحسن صنيعه، فلو أظهر فعله وحمده الناس عليه لما أبطل بذلك أجره، لكن لا بد أن لا يقصد بالإظهار ذلك، فاجتماع الأمرين ممكن جائز، بل لو أظهره لقصد الاتباع؛ يؤجر على ذلك كما يؤجر على العمل<sup>(١)</sup>.

### المثال الثاني:

كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورضي الله عنهم أجمعين يفرحون بما يبشرون به من القرب من الله وقبوله أكثر من فرحهم بما ينالونه من متاع الدنيا، ولا أدل على ذلك مما في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه، أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «وماذا أعددت لها». قال: لا شيء، إلا أنني أحب الله ورسوله صلى الله عليه

(١) حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي الحسن السندي (ج ١٠ / ص ٢٩٤ - ٢٩٥).

وسلم، فقال: «أنت مع من أحببت».

قال أنس: فما فرحنا بشيء، فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنت مع من أحببت» قال أنس: «فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم».

ولفظ الترمذي: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المرء مع من أحب، وأنت مع من أحببت»، فما رأيت فرح المسلمون بعد الإسلام فرحهم بهذا<sup>(١)</sup>.

### المثال الثالث:

هذا مثال آخر عجيب في صحيح مسلم<sup>(٢)</sup>، عن المقداد بن عمرو رضي الله عنه قال: «أقبلت أنا وصاحبان لي وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد<sup>(٣)</sup>، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليس أحد منهم يقبلنا<sup>(٤)</sup>».

فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق بنا إلى أهله، فإذا ثلاثة أعز، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «احتلبوا هذا اللبن بيننا».. قال: فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه ونرفع للنبي صلى الله عليه وسلم نصيبه، قال: فيجيء من

(١) مسند أحمد (ج ٣ / ص ١٧٨)، صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٣٦٨٨)، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة (ح ٢٦٣٩)، جامع الترمذي، كتاب الزهد (ح ٢٣٨٥).

(٢) كتاب الأشربة (ح ٢٠٥٥).

(٣) هو الجوع والمشقة (المنهاج شرح صحيح مسلم ج ١٤ / ص ١٣).

(٤) قال النووي: هذا محمول على أن الذين عرضوا أنفسهم عليهم كانوا مقلين ليس عندهم شيء يواسون به (شرح صحيح مسلم ج ١٤ / ص ١٤).

الليل فيسلم تسليماً لا يوقظ نائماً ويُسمعُ اليقظان، قال: ثم يأتي المسجد فيصلّي ثم يأتي شرابه فيشرب.

فأتاني الشيطان ذات ليلة -وقد شربت نصيبى- فقال: محمد يأتي الأنصار فيتحفونه ويصيب عندهم، ما به حاجة إلى هذه الجرعة.. فأتيها فشربتها، فلما أن وعلت في بطني وعلمت أنه ليس إليها سبيل؛ قال: ندمني الشيطان فقال: ويحك! ما صنعت؟ أشربت شراب محمد؟ فيجيء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك، فتذهب دنياك وأخرتك.. وعليّ شملة إذا وضعتها على قدميّ خرج رأسي، وإذا وضعتها على رأسي خرج قدمي، وجعل لا يجيئني النوم، وأما صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت.

قال: فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فسلم كما كان يسلم، ثم أتى المسجد فصلى، ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئاً!! فرفع رأسه إلى السماء، فقلت: الآن يدعو عليّ فأهلك، فقال: «اللهم أطعم من أطعمني واسق من سقاني»، قال: فعمدت إلى الشملة فشددتها عليّ، وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعنز أيها أسمن فأذبحها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هي حافلة<sup>(١)</sup>! وإذا هن حُفَل كلهن!! فعمدت إلى إناء لآل محمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه، قال: فحلبت فيه حتى علتة رغوّة، فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

«أشربتم شرابكم الليلة؟» قال: قلت: يا رسول الله، اشرب، فشرب ثم ناولني، فقلت: يا رسول الله، اشرب، فشرب ثم ناولني، فلما عرفت أن النبي

(١) يعني كثيرة اللبن في الضرع، والجمع حُفَل. انظر: القاموس المحيط (ص ١٢٧٣).

صلى الله عليه وسلم قد روي وأصبتُ دعوته؛ ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض.  
قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إحدى سواتك يا مقداد!!»<sup>(١)</sup>،  
فقلت: يا رسول الله، كان من أمري كذا وكذا وفعلت كذا، فقال النبي صلى الله  
عليه وسلم: «ما هذه إلا رحمة من الله»<sup>(٢)</sup>، أفلا كنت آذنتني فنوقظ صاحبينا  
فيصبيان منها؟» قال: فقلت: والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتها وأصبتها  
معك من أصابها من الناس».

فهذا الصحابي الجليل والفارس المقدام كان حزيناً وخائفاً من أن يدعو  
عليه النبي صلى الله عليه وسلم، لكونه أذهب نصيب النبي صلى الله عليه وسلم  
وتعرض لأذاه.. فلما علم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد روي وأجبت  
دعوته فرح وضحك حتى سقط إلى الأرض من كثرة ضحكته:  
أ- لذهاب ما كان به من الحزن وانقلابه مسروراً بشرب النبي صلى الله عليه  
وآله وسلم.

ب- وإجابة دعوته لمن أطعمه وسقاه وجريان ذلك على يد المقداد.

ج- وظهور هذه المعجزة.

د- ولتعجبه من قبح فعله أولاً، وحسنه آخر<sup>(٣)</sup>.

فيتحصل لنا من هذا المبحث: أن الإيمان و تقوى الله، أقوالاً وأفعالاً  
واعتقادات، لو فرح بها العبد فهو من الفرح الم محمود الذي يؤجر عليه، ويدل  
على تعلقه بالإيمان والتقوى.

(١) أي أنك فعلت سوءاً من الفعلات، فما هي؟

(٢) أي إحداث هذا اللب في غير وقته وخلاف عادته، وإن كان الجميع من فضل الله.

(٣) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (ج ١٤ / ص ١٥).



## المبحث الثاني

### الفرح بالقرآن

من صور الفرح المحمود: الفرح بالقرآن الكريم، المشار إليه في قول الله عز وجل: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، ولا بد لهذا المبحث من مطالب توضح مرامه وتكشف لثامه، وهي كما يلي:

#### المطلب الأول: الأصل في الفرح بالقرآن:

الأصل في الفرح بالقرآن آيات أذكر منها آيتين:

الآية الأولى:

قوله عز وجل: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[يونس: ٥٨].

وقد ذكر المفسرون أن الله تعالى يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾، أيها الناس، الذي تفضل به عليكم، وهو الإسلام، فبينه لكم، ودعاكم إليه ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾، التي رحمكم بها، فأنزلها إليكم، فعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه، وبصركم بها معالم دينكم: وذلك القرآن ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

فإن الإسلام الذي دعاهم إليه، والقرآن الذي أنزله عليهم، خير مما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها.

قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم رضي الله عنهم: فضله:



الإسلام، ورحمته: القرآن.

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: فضل الله القرآن، ورحمته أن جعلنا من أهله. ١.هـ.

ولاحظ أن دخول الفاء إنما هو لمعنى الشرط، كأنه قيل: إن فرحوا بشيء فليخسّوهم بالفرح، فإنه لا مفروح به أحق منها. أفاده الزمخشري رحمه الله<sup>(١)</sup>. وهذه الآية الكريمة تذكر الفرح بالإيمان والقرآن مع الفرح بالدنيا؛ لأن الضد يظهر حسنه الضد كما قيل، وهنا يعقد سيد قطب رحمه الله تعالى مقارنة بين الفرح بالإيمان والقرآن، وبين الفرح بمتاع الدنيا، بأن الفرح بالإيمان والقرآن هو الفرح العلوي الذي يطلق النفس من عقاب المطامع الأرضية والأعراض الزائلة، فيجعل هذه الأعراض خادمة للحياة لا مخدومة؛ ويجعل الإنسان فوقها -وهو يستمتع بها- لا عبداً خاضعاً لها.

ويستدرك بأن الإسلام لا يحقر أعراض الحياة الدنيا ليهجرها الناس ويزهدوا فيها، إنما هو يزنها بوزنها ليستمتع بها الناس وهم أحرار الإرادة طلقاء اليد، مطمئحهم أعلى من هذه الأعراض، وآفاقهم أسمى من دنيا الأرض، الإيمان عندهم هو النعمة، وتأدية مقتضيات الإيمان هي الهدف، والدنيا -بعد ذلك- مملوكة لهم لا سلطان لها عليهم<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: جامع البيان (ج ١١ / ص ١٤٤، ١٤٥)، معالم التنزيل (ج ٢ / ص ٤٢٣)، الكشف (٢ / ٢٧٧)، المحرر الوجيز (ج ٤ / ص ٤٩٣)، الجامع لأحكام القرآن (ج ٨ / ص ٣١٦)، مدارك التنزيل (ص ٤٧٧)، تفسير القرآن العظيم (ج ٢ / ص ١١٣١)، التسهيل لعلوم التنزيل، للحافظ ابن جزي (ج ٢ / ص ١٧٦)، تفسير الجلالين (ص ٢١٥)، جامع البيان لمعين الدين الإيجي (ص ٤١٦)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٤٩٨).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (ج ٣ / ص ١٧٩٩-١٨٠٠).

## الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلْكَتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَخْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبٍ﴾ [الرعد: ٣٦].

وقد يكون المقصود بالذين آتاهم الله الكتاب صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين قرت أعينهم بكتاب الله سبحانه وتعالى وكانوا يحرصون على سماع آياته، وتدبر معانيه، والعمل بما فيه برغبة وشوق، وعلى هذا فالمراد بالكتاب القرآن، كما قال قتادة رحمه الله: أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فرحوا بكتاب الله وبرسوله وصدقوا به.

وقد يكون المقصود: من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب، حين رأوا صدق بشارات أنبيائهم في القرآن الكريم وفي شخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فرحوا أن الله وفقهم لإدراكه والإيمان به.

وإلى هذا ذهب كثير من المفسرين، قال ابن زيد<sup>(١)</sup> رحمه الله: هذا من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب فيفرحون بذلك. وقرأ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ [يونس: ٤٠].

وسبب فرح أهل الكتاب بالقرآن الكريم:

- إما لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به.

- وإما لموافقة ما عندهم، فهو يؤكد ما بقي عندهم من الحق في كتبهم وما

(١) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني، يضعف في الحديث وهو من أئمة التفسير (تـ ١٨٢هـ)، انظر خلاصة الخزرجي (ص ٢٢٧).

كانوا يدينون به قبل نزوله.

- وإما لسرورهم بما يرد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مباحات الشرع، بعد أن كان في دينهم تشديد عليهم<sup>(١)</sup>.

### قصة في عهد عمر:

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يدركون تمام الإدراك أن الفرح الأكبر إنما هو بالقرآن والإيمان، وهذه القصة التي أوردها الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى في تفسيره تدل على ذلك:

فقد روى عن أيفع بن عبد الكلاعي قال: لما قدم خراج العراق إلى عمر خرج عمر ومولى له، فجعل عمر يعد الابل فإذا هو أكثر من ذلك، فجعل عمر يقول: الحمد لله، ويقول مولاه: يا أمير المؤمنين، هذا والله من فضل الله ورحمته، فقال عمر: كذبت! ليس هذا هو؛ يقول الله: ﴿بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وهذا مما تجمعون.<sup>(٢)</sup>

ونعود إلى تأملات سيد في ظلاله، فإنه قال بعد أن ذكر أيضا هذه القصة: هكذا كان الرعي الأولون ينظرون إلى قيم الحياة. كانوا يعدُّون الفضل الأول والرحمة الأولى هي ما جاءهم من الله من موعظة وهدى. فأما المال، وأما الشراء، وأما النصر ذاته فهو تابع؛ لذلك كان النصر يأتيهم، وكان المال ينثال عليهم، وكان الشراء يطلبهم.

(١) انظر: جامع البيان (ج ١٣ / ص ١٩٥)، معالم التنزيل (ج ٣ / ص ٢٥)، المحرر الوجيز (ج ٥ / ص ٢١٠)، الجامع لأحكام القرآن (ج ٩ / ص ٢٧٦)، مدارك التنزيل (ص ٤٧٨)، تفسير القرآن العظيم (ج ٢ / ص ١٢٣٥ - ١٢٣٦)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٢ / ص ٢٥٤)، تفسير الجلالين (ص ٢٥٤)، جامع البيان للإيجي (ص ٤٧٨)، التحرير والتنوير (ج ١٣ / ص ١٥٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٥٧٥).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم للإمام الرازي (٦ / ١٩٦٠)، تفسير القرآن العظيم، (ج ٢ ص ١١٣١).

إن طريق هذه الأمة واضح، إنه في هذا الذي يسنه لها قرآنها، وفي سيرة الصدر الأول الذين فهموه من رجالها.. هذا هو الطريق. ا.هـ باختصار<sup>(١)</sup>.

**المطلب الثاني: من المخاطب بقوله تعالى: ﴿فَإِذْكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾؟**  
هل المقصود بالخطاب في قوله تعالى: ﴿فَإِذْكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ الكفار أو المؤمنون؟ أقوال لأهل العلم:

\* فالظاهر من قول الطبري السابق ترجيح الأول، بل صرح به بعد ذلك فذكر «أنه خبر عن أهل الشرك بالله. يقول: فبالإسلام والقرآن الذي دعاهم إليه، فليفرح هؤلاء المشركون، لا بالمال الذي يجمعون؛ فإن الإسلام والقرآن خير من المال الذي يجمعون».

\* وقال البغوي: ليفرح المؤمنون أن جعلهم الله من أهله، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: مما يجمعه الكفار من الأموال.

\* ويرى آخرون: أن النداء عام للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم، ويدل عليه الآية التي قبلها، وهي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس ٥٧]، وهو اختيار ابن عطية وسيد قطب رحمهما الله.. يقول سيد: جاءكم الموعظة:

- لتحيي قلوبكم.

- وتشفي صدوركم من الخرافة التي تملؤها، والشك الذي يسيطر عليها، والزيف الذي يمرضها، والقلق الذي يحيرها.

- جاءت لتفيض عليها البرء والعافية واليقين والاطمئنان والسلام مع

(١) في ظلال القرآن (ج ٣ ص ١٧٩٩-١٨٠٠).

الإيمان. وهي لمن يرزق الإيمان هدى إلى الطريق الواصل، ورحمة من الضلال والعذاب<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث: دوافع الفرح بالقرآن الكريم:

وهنا يرد السؤال عن بواعث الفرح بالقرآن الكريم، ونجد في كتاب الله سبحانه وتعالى الجواب بأنه:

١- يفرح المؤمنون بالقرآن لأنهم يزددون -بتلاوة آياته وبسماعها -إيماناً. يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [براءة: ١٢٤] أي: يفرحون بنزول القرآن، قال الطبري، مبينا سبب ذلك: وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين.

ويزيده سيد قطب وضوحاً فيقول: فأما الذين آمنوا:

\* فقد أضيفت إلى دلائل الإيمان عندهم دلالة، فزادتهم إيماناً.

\* وقد خفقت قلوبهم بذكر ربهم خفقة، فزادتهم إيماناً.

\* وقد استشعروا عناية ربهم بهم في إنزال آياته عليهم، فزادتهم إيماناً.

فهم -كما قال العلامة النسفي رحمه الله- يعدّون زيادة التكليف بشارة التشريف<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: جامع البيان (ج ١١ / ص ١٤٥)، معالم التنزيل (ج ٢ / ص ٤٢٣)، المحرر الوجيز (ج ٤ / ص ٤٩٣)، الجامع لأحكام القرآن (ج ٨ / ص ٣١٦)، جامع البيان للإيجي (ص ٤١٦)، الظلال (ج ٣ ص ١٧٩٩-١٨٠٠).

(٢) انظر: جامع البيان (ج ١١ / ص ٨٥، ٨٦)، معالم التنزيل (ج ٢ / ص ٤٠٧)، المحرر الوجيز (ج ٤ / ص ٤٣٧)، مدارك التنزيل (ص ٤٦٠)، تفسير الجلالين (ص ٢٠٧)، جامع البيان للإيجي (ص ٤٠٣)،

٢- ويفرحون بالقرآن للأنس به في القلب؛ لما فيه من نشاطه وتنويره وحياته:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

فهو هدى وبشرى للقلوب المؤمنة التي تتفتح له وتستجيب.. وهذه حقيقة ينبغي إبرازها، إن نصوص القرآن لتسكب في قلب المؤمن من الإيناس، وتفتح له من أبواب المعرفة، وتفيض فيه من الإيحاءات والمشاعر ما لا يكون بغير الإيمان. ومن ثم يجد فيه الهدى، كما يستروح فيه البشرى.. قاله سيد.

٣- وفي القرآن بشارة للمؤمنين بثواب أعمالهم في الدنيا والآخرة:

وهذا ما ورد تأكيده وإيضاحه وبيانه في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧]، فأخبر الله عباده المؤمنين - جل ثناؤه - أن القرآن لهم بشرى منه، لأنه أعلمهم بما أعد لهم من الكرامة عنده في جناته، وما هم إليه صائرون في معادهم من ثوابه، وذلك هو «البشرى» التي بشر الله بها المؤمنين في كتابه.

وفي هذا السياق يعلل قتادة رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيقول: لأن المؤمن إذا سمع القرآن:

\* حفظه ووعاه.

\* وانتفع به واطمأن إليه.

\* وصدق بموعد الله الذي وعد فيه، وكان على يقين من ذلك<sup>(١)</sup>.  
ومثله قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ [البقرة: ١١٩].

والحق الذي أرسله به هو الإسلام الذي لا يقبل من أحد غيره من الأديان؛  
ليبشر من اتبعه وأطاعه:

\* بالنصر في الدنيا.

\* والظفر بالثواب في الآخرة، والنعيم المقيم فيها.

وينذر من عصاه وخالفه، ورد عليه دعوته:

\* بالخزي في الدنيا، والذل فيها.

\* والعذاب المهين في الآخرة<sup>(٢)</sup>.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

والمسلم المبشّر هنا - حسب تعريف الطبري - من أطاع الله وخضع له  
بالتوحيد، وأذعن له بالطاعة، يبشره بجزيل ثوابه في الآخرة، وعظيم كرامته<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: جامع البيان (ج ١ / ص ٥٠٤)، تفسير القرآن العظيم (ج ١ / ص ١٥٨)، تفسير الجلالين (ص ١٥)، التحرير والتنوير (ج ١ / ص ٦٢٢)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٥٧).

(٢) انظر: جامع البيان (ج ١ / ص ٥٩٣)، معالم التنزيل (ج ١ / ص ١٦٠)، المحرر الوجيز (ج ١ / ص ٣٣٥)، مدارك التنزيل (ص ٧٥)، تفسير القرآن العظيم (ج ١ / ص ١٩١)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ١ / ص ١٤٩)، تفسير الجلالين (ص ١٨)، جامع البيان للإيجي (ص ٦٧)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٣).

(٣) انظر: جامع البيان (ج ١٤ / ص ١٩٣)، مدارك التنزيل (ص ٦٠٦)، تفسير الجلالين (ص ٢٧٧)،

والقارئ في كتاب الله يلحظ هذا المعنى كثيراً، وربما ذُكرت أعمال معينة وذكر معها التبشير بالثواب الجزيل من الله، ومن ذلك:

#### أ- البشارة بثواب الصبر:

وذلك لمن يصبر على لأواء الدنيا؛ يرجو الثواب من الله، ويعرف حقيقة الدنيا بما عرّفه الله سبحانه، فإن الدنيا في حقيقتها كما صورها أبو البقاء صالح بن شريف الرندي<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى بقوله:

لكلّ شيءٍ، إذا ما تمّ، نقصانٌ      فلا يغرّ بطيب العيش إنسانٌ  
هي الأمور كما شاهدتها دول      من سرّه زمنٌ ساءتُه أزمانٌ  
وهذه الدار لا تبقي على أحدٍ      ولا يدوم على حالٍ لها شأنٌ<sup>(٢)</sup>

فكان للصابرين على ما يصيبهم فيها تلك البشارة التي في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۗ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دارُ بلاء، وأنه مبتليهم فيها، وأمرهم بالصبر، وبشّرهم فقال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، ثم أخبرهم أنه فعل هكذا بأنبياؤه وصفوته؛ لتطيب أنفسهم، فقال: ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا﴾ [البقرة: ٢١٤].

التحرير والتنوير (ج ١٤ / ص ٢٤٥)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٦١٤).

(١) المتوفى سنة ٧٩٨ هـ، يرثي الأندلس.

(٢) جواهر الأدب (ج ٢ / ص ٣٣٦، ٣٣٧).



والإمام الطبري يعدد لنا صور الصبر الذي استحق به صاحبه البشارة فيجعلها في:

١- الصابرين على امتحان الله وبلائه، القائلين إذا أصابتهم مصيبة: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

٢- والحافظين أنفسهم عن الوقوع فيما نهاهم عنه.

٣- والآخذين أنفسهم بأداء ما كلفهم من الفرائض.

والباعث لهم على الصبر على المصائب: علمهم أن جميع ما بهم من نعمة فمن الله: فيُقرّون بعبوديته، ويوحّدونه بالربوبية، ويصدقون بالمعاد والرجوع إليه سبحانه: فيستسلمون لقضائه، ويرجون ثوابه، ويخافون عقابه، ويقولون عند امتحان الله إياهم: إنا ممالك ربنا ومعبودنا أحياء، ونحن عبيده، وإنا إليه بعد مماتنا صائرون.

فكانت مكافأتهم: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

والصلوات: المغفرة، في اختيار الطبري؛ مستدلاً بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم صلّ على آل أبي أوفى»<sup>(١)</sup>. يعني: اغفر لهم.. ويمنّ عليهم بالهداية، فيصيبون طريق الحقّ. والرشد للصواب.. قال البغوي: قال عمر رضي الله عنه: نِعْمَ الْعِدْلَانِ وَنِعْمَتِ الْعِلَاوَةُ، فالعدلان: الصلاة والرحمة، والعلاوة: الهداية.

ومن أمثلة البلاء الذي يصيب الناس في الدنيا ما ذكره ابن عباس رضي

(١) صحيح البخاري (كتاب الزكاة ح ١٤٩٧) - صحيح مسلم (كتاب الزكاة ح ١٠٧٨).

الله عنهما بأن الخوف خوف العدو، والجوع يعني القحط، والنقص من الأموال بالخسران والهلاك، ونقص الأنفس بالقتل والموت، وقيل: بالمرض والشيب ونقص الثمرات بالجوائح في الثمار<sup>(١)</sup>.

### \* قصة .. وقصة:

**القصة الأولى:** قال أبو سنان عيسى بن سنان التيمي الحنفي رحمه الله: دفنت ابني سناناً، وأبو طلحة الخولاني على شفير القبر، فلما أردت الخروج أخذ بيدي فأخرجني، فقال: ألا أبشرك؟ حدثني الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ قالوا: نعم، قال: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ قالوا: نعم، قال: فماذا قال عبدي؟ قالوا: استرجع وحمدك قال: ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد»<sup>(٢)</sup>.

**القصة الثانية:** من صور هذه البشارة ما روته أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها حين قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في

(١) انظر: جامع البيان (ج ٢، ص ٥١-٥٣) باختصار، وانظر معالم التنزيل (ج ١ / ص ١٨٥ - ١٨٧)، المحرر الوجيز (ج ١ / ص ٣٨٧ - ٣٨٨)، الجامع لأحكام القرآن (ج ٢ / ص ١٧٠ - ١٧٣)، مدارك التنزيل (ص ٨٧ - ٨٨)، تفسير القرآن العظيم (ج ١ / ص ٢٢٩ - ٢٣٠)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ١ / ص ١٦١)، تفسير الجلالين (ص ٢٤)، جامع البيان لمعين الدين الإيجي (ص ٧٦)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٨٠ - ٨١).

(٢) مسند الإمام أحمد (ج ٤ / ص ٤١٥)، جامع الترمذي. كتاب الجنائز (ح ١٠٢١) وقال: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الألباني.

مصيبي وأخلف لي خيراً منها: إلا أخلف الله له خيراً منها».

قالت: فلما مات أبو سلمة رضي الله عنه قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم إنني قتلها، فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم<sup>(١)</sup>.

وحاصل ما سبق: أن الفرح والاستبشار بثواب الصبر محمود مطلوب، وإن النفس لتتهز لسماح الثواب الذي كتبه الله للصابرين، فتبادر إلى التحلي به؛ لنيل تلك الكرامات، كما أن المؤمن يعلم أنه يثاب على فرحه بما بشره الله به، وهذا معنى كونه محموداً.

### ب- البشارة للمجاهدين الصادقين:

والمجاهد الذي يستحق البشارة هو الذي توفرت فيه مجموعة من الصفات الأساسية الواردة في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُتَّخِضُونَ الرُّكُوعُونَ السَّجِدُونَ لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهِوتَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ١١٢﴾ [براءة: ١١١-١١٢].

فاستمع إلى قول الله تعالى: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾، يقول ذلك للمؤمنين: أي فافرحوا غاية الفرح، أيها المؤمنون، الذين صدقوا الله فيما عاهدوا، بيعكم

(١) صحيح مسلم. كتاب الجنائز (ح ٩١٨).

أنفسكم وأموالكم من ربكم، وأظهروا السرور بذلك؛ فإنكم تبيعون فانياً بياق، وإن ذلك هو الفوز العظيم، الذي لا فوز أكبر منه ولا أجل؛ لأنه موجب للفرح الأبدي، ومتضمن للسعادة الأبدية والنعيم المقيم، والرضا من الله الذي هو أكبر من نعيم الجنات.

ولما تلا قتادة رحمه الله هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾، قال: ثامنهم الله، فأغلى لهم الثمن. وعن الحسن مثله.

قال عمر رضي الله عنه: إن الله عز وجل بايعك وجعل الصفقتين لك.. وقال الحسن: اسمعوا إلى بيعة ربيعة بايع الله بها كل مؤمن. وعنه أنه قال: إن الله أعطاك الدنيا فاشتر الجنة ببعضها.

قال الطبري: وأما قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فإنه يعني: وبشر المصدقين بما وعدهم الله إذا هم وفوا الله بعهد، أنه مؤف لهم بما وعدهم من إدخالهم الجنة.. ثم أسند إلى الحسن: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾، حتى ختم الآية، قال: الذين وفوا ببيعتهم: ﴿التَّابُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ﴾، حتى ختم الآية، فقال: هذا عملهم وسيرهم في الرخاء، ثم لقوا العدو فصدقوا ما عاهدوا الله عليه<sup>(١)</sup>.

فنخلص من ذلك إلى أن الاستبشار بهذه البيعة مع الله عز وجل من الفرح

(١) انظر: جامع البيان (ج ١١/ص ٤٣، ٤٤ - ٤٩)، معالم التنزيل (ج ٢/ص ٣٩١)، المحرر الوجيز (ج ٤/ص ٤١٧)، الجامع لأحكام القرآن (ج ٨/ص ٢٤٥)، مدارك التنزيل (ص ٤٥٦ - ٤٥٧)، تفسير القرآن العظيم (ج ٢/ص ١٠٩٩ - ١١٠٠)، جامع البيان للإيجي (ص ٣٩٨)، التحرير والتنوير (ج ١٠/ص ٤٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٤٧).

الذي يحبه الله، ويحب أن يراه على عباده؛ فإن العبد إذا فرح بذلك انطلق في سبيل الله يبيع نفسه لربه؛ ليربح تلك الصفقة العظيمة.

### \* مثال على الفرح بثواب الجهاد:

أروع مثل نصرته في الاستبشار بثواب الجهاد والشهادة في سبيل الله تعالى، قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تضمن الله لمن خرج في سبيله - لا يخرجه إلا جهادا في سبيلي وإيمانا بي وتصديقا برسلي - فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، نائلا ما نال من أجر أو غنيمة. والذي نفس محمد بيده ما من كَلِمٍ يُكَلِّمُ في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كَلِم: لونه لون دم، وريحه مسك.

والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني.

والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل»<sup>(١)</sup>.

وهذا الضمان والكفالة بالجنة للشهيد موافق - كما قال الإمام النووي رحمه الله تعالى<sup>(٢)</sup> - لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١].

فتلخص لنا مما سبق أن الفرح بالقرآن من الفرح بالمحمود الذي يثاب

(١) أخرجه البخاري مرفقا في (كتاب الإيمان ح ٣٦)، (كتاب الوضوء ح ٢٣٧)، ومسلم. كتاب الإمارة

(ح ١٨٧٦) عن أبي هريرة، واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم (ج ٦ / ص ٥٠٤).

عليه العبد، وأنه علامة على إيمانه وتعلقه بالقرآن، لما له من أثر في زيادة إيمان المؤمن، ولأنس قلبه به، ولحياة قلبه بتلاوته، ولما فيه من البشارات العظيمة، والتي منها كذلك:

### ج - البشارة للمخبتين:

هي من بشائر القرآن التي تدعو المؤمن للفرح بكتاب الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالْيَهُمْ إِلَهُ وَحْدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَيَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ۝٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابُهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿[الحج: ٢٤-٣٥].

﴿وَيَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ بخير الدنيا والآخرة، والمخبت كما قال السعدي رحمه الله تعالى: الخاضع لربه، المستسلم لأمره، المتواضع لعباده. و عبارات السلف في معنى المخبتين تدور حول ما لخصه العلامة السعدي رحمه الله.

قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله عز وجل، «والخبت» المكان المطمئن من الأرض. وقال الأخفش: الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمرو بن أوس: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا. وأحسن ما يفسر به ما بعده، وهو قوله عز وجل:

١ - ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: خافت منه قلوبهم، فتركوا

لذلك المحرمات.

٢- ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ أي: من المصائب: البأساء والضراء، وأنواع الأذى، فلا يجري منهم التسخط لشيء من ذلك، بل صبروا ابتغاء وجه ربهم؛ محتسبين ثوابه، مرتقبين أجره، قال الحسن البصري: والله لتصبرن أو تهلكن.

٣- ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ أي: المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه، قال السعدي: الذين جعلوها قائمة مستقيمة كاملة، بأن أدوا اللازم فيها والمستحب، وعبوديتها الظاهرة والباطنة.

٤- ﴿وَمَكَارَزَنَهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أي: وينفقون مما آتاهم الله من طيب الرزق على أهلهم وأرقائهم وقراباتهم، وفقرائهم ومحاويجهم، ويحسنون إلى خلق الله مع محافظتهم على حدود الله.<sup>(١)</sup>

#### د- البشارة للمحسنين:

ومن بشارات القرآن التي يفرح بها المؤمن، وهي من الصور الجلية للفرح الم محمود: فرح المحسنين ببشارة الله لهم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النَّفْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِ اللَّهِ عَلَى مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

وهذه البشارة هي للمحسنين:

\* عبادة الله: بأن يعبدوا الله، كأنهم يرونه، فإن لم يصلوا إلى هذه الدرجة

(١) انظر: معالم التنزيل (ج ٣ / ص ٣٣٩)، المحرر الوجيز (ج ٦ / ص ٢٤٧)، الجامع لأحكام القرآن (ج ١٢ / ص ٥٨)، تفسير القرآن العظيم (ج ٣ / ص ١٥٦٧)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٣ / ص ٧٨)، الإكليل في استنباط التنزيل (ص ٤٥٣ - ٤٥٤)، تفسير الجلالين (ص ٣٣٦)، التحرير والتنوير (ج ١٧ / ص ٢٦٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٨١٧).

فليعبدوه، معتقدين -وقت عبادتهم- اطلاعه عليهم، ورؤيته إياهم. فهم يحسنون الصلة بالله في كل نشاط الحياة.

\* والمحسنين لعباد الله، بجميع وجوه الإحسان من نفع:

- مال.
- أو علم.
- أو جاه.
- أو نصح.
- أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر.
- أو كلمة طيبة.. ونحو ذلك.

وهكذا لا يخطو المسلم في حياته خطوة، ولا يتحرك في ليله أو نهاره حركة، إلا وهو ينظر فيها إلى الله، ويجيش قلبه فيها بتقواه، ويتطلع فيها إلى وجهه ورضاه.. فإذا الحياة كلها عبادة تتحقق بها إرادة الله من خلق العباد، وتصلح بها الحياة في الأرض وهي موصولة السبب بالسماء.

فالمحسنون لهم البشارة من الله، بسعادة الدنيا والآخرة، وسيحسن الله إليهم كما أحسنوا في عبادته ولعباده ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦]<sup>(١)</sup>.

وكما أن الله يبشر المؤمنين بثواب أعمالهم، فإن المؤمن كذلك يفرح ويستبشر بتوفيق الله إياه للعمل الصالح، ويحزن إذا وقع في المعصية، ولهذا كان

(١) انظر: مدارك التنزيل (ص ٤٠)، جامع البيان للإيجي (ص ٦٢١)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٨١٨)، في ظلال القرآن (ج ٤ / ص ٢٤٢٣ - ٢٤٢٤).



الفرح باكتساب الحسنات علامة على الإيمان الصادق، كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لمن سأله عن الإيمان: «إِذَا سَرَّتَكَ حَسَنَتُكَ وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ»<sup>(١)</sup>.

والمعنى: إذا أفرحتك عبادتك وأخلاقك الحسنة مع الناس؛ لكونك جازماً بصدق الشارع فيما جاء به عن الله تعالى من حصول الثواب عليها.. وأحزنك ذنبك - سواء كان تقصيراً في حقوق الله أو حقوق الناس -؛ لكونك قاطعاً بصدق الشارع فيما توعد به من العقاب عليها: فأنت كامل الإيمان؛ لفرحك بما يرضي الله وحزنك بما يغضبه، وفي الحزن عليها إشعار بالندم الذي هو أعظم أركان التوبة.

وإنما سميت الحسنة حسنة لأن بها يحسن حال فاعلها، وهي سبب إحسان الله تعالى، وسميت السيئة سيئة لأن بها يسوء حال فاعلها، وهي سبب كل سوء ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]<sup>(٢)</sup>.

فخلاصة هذا المبحث -إذن- أن الفرح بالقرآن من الفرح المحمود، وأن المؤمن يفرح بكتاب الله؛ لأن في تلاوته والعمل بما فيه: زيادة في إيمان المؤمن، ولما يجده هذا المؤمن من الأُنس بالقرآن الكريم، وحياة قلبه بتدبره وتلاوته، ولما فيه من البشارات العظيمة له، كالبشارة للمحسنين وللمخبتين وللمجاهدين... ونحو ذلك.

(١) مسند الإمام أحمد (ج ٥ / ص ٢٥٢) والمستدرک علی الصحیحین (ج ١ / ص ١٣)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وصححه ووافقه الذهبي. وقال المناوي: قال العراقي في أماليه: حديث صحيح،

انظر فيض القدير (ج ١ / ص ٣٧٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (ج ٦٠٠).

(٢) انظر: فيض القدير (ج ١ / ص ٣٧٤)، التيسير بشرح الجامع الصغير (ج ١ ص ١٠٥).

## المبحث الثالث

### الفرح بالولد الصالح

وهو من الفرح بالثواب إذا كان سببه ما يرجوه العبد من الأجر في صلاح ولده، لا مجرد الفرح بحصول الذرية، وبيانه في المطلبين الآتين:

#### المطلب الأول: أنموذج نبوي في الفرح بالولد الصالح:

وهو زكريا صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم حين بشره ربه عز وجل بالولد الصالح الذي يرثه في علمه ودعوته. قال زكريا: ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۖ ۝٦ يَنْزَكِرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۖ ﴾ [مريم: ٥-٧].

«وذلك أن الله تعالى اجتبى زكريا عليه السلام لرسالته، فقام بذلك قيام أمثاله من المرسلين، ودعا العباد إلى ربه، وعلمهم ما علمه الله.

فلما رأى من نفسه الضعف، وخاف أن يموت، ولم يكن أحد ينوب منابه في دعوة الخلق إلى ربهم والنصح لهم؛ شكا إلى ربه ضعفه الظاهر والباطن، وناداه نداء خفيا؛ ليكون أكمل وأفضل وأتم إخلاصا، وقال: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِ ۖ ۝١٠ مَنْ يَتَوَلَّى عَلَىٰ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوتِي، أَنْ لَا يَقُومُوا بِدِينِكَ ۖ ۝١١ الْقِيَامَ، وَلَا يَدْعُوا عِبَادَكَ إِلَيْكَ. »

ويظهر في هذه المناجاة:

- أنه لم ير فيهم أحداً فيه لياقة للإمامة في الدين.

- وشفقته عليه السلام ونصحه.

- وأن طلبه للولد، ليس كطلب غيره، قصده مجرد المصلحة الدنيوية، وإنما قصده مصلحة الدين، والخوف من ضياعه.. فما يطلبه -كما قال سيد- هو الولي الصالح، الذي يحسن الورثة، ويحسن القيام على تراثه وتراث النبوة من آبائه وأجداده

وكان بيته من البيوت المشهورة في الدين، ومعدن الرسالة، ومظنة للخير، فدعا الله أن يرزقه ولدا، يقوم بالدين من بعده، واشتكى أن امرأته عاقر -أي ليست تلد أصلا- وأنه قد بلغ من الكبر عتيا، أي: عمرا ينذر معه وجود الشهوة والولد»<sup>(١)</sup>. ١.١هـ.

ولا ينسى زكريا، النبي الصالح، أن يصور أمله في ذلك الوريث الذي يرجوه في كبرته: ﴿وَجَعَلَهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ لا جباراً ولا غليظاً، ولا متبطراً ولا طموحاً. فالرضي: الذي يرضى ويُرَضَّى، وينشر ظلال الرضى فيما حوله ومن حوله» ١.١هـ. من كلام سيد<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: أي مرضيا عندك وعند خلقك، تحبه وتحبيه إلى خلقك في دينه وخلقه.

والحاصل أنه سأل الله:

- ولدا، ذكرا، صالحا.

- يبقى بعد موته.

(١) باختصار وتصرف من كلام العلامة السعدي رحمه الله.

(٢) الظلال (٤/ ٢٣٠٢).

- ويكون وليا من بعده.

- ويكون نبيا مرضيا عند الله وعند خلقه.

وهذا أفضل ما يكون من الأولاد، ومن رحمة الله بعبده، أن يرزقه ولدا صالحا، جامعا لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم. فرحمه ربه واستجاب دعوته<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: دعوة عباد الرحمن بالولد الصالح:

ليس الفرح بالولد الصالح مطلب زكريا وحده، بل هو مطلب عباد الرحمن الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى في سورة الفرقان بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

فمن صفاتهم التي أثنى الله عليها أنهم يرغبون إلى الله في دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا من يعمل لك بالطاعة فتقر بهم أعيننا في الدنيا والآخرة. كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

وسأل رجل الحسن رحمه الله تعالى، قال: يا أبا سعيد، قول الله: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ﴾ في الدنيا والآخرة؟ قال: لا بل في الدنيا، قال: وما ذاك؟ قال: المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله. وهذا المعنى منقول عن سليمان التيمي والقرظي وغيرهما.

ولذا قال عكرمة: لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالا، ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين، ويضيف ابن جريج: يعبدونك فيحسنون عبادتك، ولا يجزؤون علينا الجرائر.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٤٤٤)، وانظر: المحرر الوجيز (ج٦/ ص٨-١٠)، الجامع لأحكام القرآن (ج١١/ ص٧٥-٧٩)، مدارك التنزيل (ص ٦٦٨)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٣/ ص٧)، تفسير الجلالين (ص ٣٠٥)، جامع البيان للإيجي (ص ٥٦٥)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٧٤).

ويبين الزمخشري رحمه الله أن (من) إذا كانت للابتداء فمعناها: هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح... كأنه قال: هب لنا منهم سرورا وفرحا.

وينبه العلامة السعدي إلى دوافعهم لهذا الدعاء، وأن هممهم العالية جعلتهم يستوهبون الله صلاح ذرياتهم؛ لأن هذا:

- كما أنه دعاء لأزواجهم وذرياتهم في صلاحهم.

- فإنه دعاء لأنفسهم؛ لأن نفعه يعود عليهم، ولهذا جعلوا ذلك هبة لهم فقالوا: ﴿هَبْ لَنَا﴾.

- بل دعاؤهم يعود إلى نفع عموم المسلمين؛ لأن بصلاح من ذكر يكون سببا لصلاح كثير ممن يتعلق بهم وينتفع بهم<sup>(١)</sup>.

إذن، فالفرح بالولد قد يكون من الفرح المباح - كما سيأتينا إن شاء الله في الفصل الرابع - ولكنه يندرج في الفرح المحمود إذا كان الدافع له الرغبة في صلاح الذرية، أو في قيامها بالدعوة إلى الله تعالى.

(١) انظر: جامع البيان (ج ١٩ / ص ٦٢-٦٣)، معالم التنزيل (ج ٣ / ص ٤٥٩)، الكشف (ج ٣ / ص ٢٣٣)، المحرر الوجيز (ج ٦ / ص ٤٦٣)، الجامع لأحكام القرآن (ج ١٣ / ص ٨٠)، مدارك التنزيل ( ص ٨٨٢)، تفسير القرآن العظيم (ج ٣ / ص ١٦٨٧)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٣ / ص ١٥٢)، الإكليل في استنباط التنزيل (ص ٤٩٠)، تفسير الجلالين (ص ٣٦٦)، جامع البيان للإيجي (ص ٦٧١)، التحرير والتنوير (ج ١٩ / ص ٨١)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٨١٧).

## المبحث الرابع

### الفرح بمعية الله سبحانه وتعالى، وبنصره، وبهلاك الظالمين

في هذا المبحث نتناول نوعاً آخر من الفرح المحمود، وهو فرح نابع من محبة الله والشوق إلى القرب منه جل جلاله، وهو فرح المؤمن بشعوره الصادق بمعية الله له وبنصره على أعدائه، وفرحه كذلك بهلاك الظالمين.. وتوضيح هذا المبحث من خلال المطالب الآتية:

#### المطلب الأول: الفرح بمعية الله سبحانه وتعالى:

وفي القرآن الكريم أمثلة عديدة لفرح المؤمنين بمعية الله لهم، وتبشير الله لهم بذلك، ومنها ما يلي:

#### المثال الأول:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٣٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ۝١٣٤ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝١٣٥ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿آل عمران: ١٢٣-١٢٦﴾.

فإن الله ما أنزل الملائكة وأعلم الصحابة بإنزالها إلا بشارة لهم وتطيباً لقلوبهم وتطمينا، وليروا حفاية الله بهم، فيفرحوا بها، وتطمئن قلوبهم بوعده فتسكن إليه، ولا تجزع من كثرة عدد العدو وقلة عدد المسلمين؛ فإن الله لما

وعدهم النصر أيقنوا به، فكان في تبين سببه - وهو الإمداد بالملائكة - طمأنة لنفوسهم؛ لأن النفوس تركز إلى الصور المألوفة، كما قال الطبري.

وإلا فالكثرة لا تغني شيئاً إلا أن ينصر الله، وإنما النصر من عند الله، الذي لو شاء لانتصر من أعدائه بدونكم، ومن غير احتياج إلى قتالكم لهم، كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ ٤ ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ ٥ ﴿وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَفَهَا هُمْ﴾ [محمد: ٤-٦].

ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا لَتَنْصُرُوا إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ تنبيه أن لا تعتمدوا على ما معكم من الأسباب، بل الأسباب فيها طمأنينة لقلوبكم، وأما النصر الحقيقي الذي لا معارض له، فهو مشيئة الله لنصر من يشاء من عباده، فإنه إن شاء نصر من معه الأسباب - كما هي سنته في خلقه - وإن شاء نصر المستضعفين الأذلين؛ ليبين لعباده أن الأمر كله بيديه، ومرجع الأمور إليه.

وأما ختم الآيات بـ ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؛ فللتذكير بأنه جل ثناؤه «العزیز» في انتقامه من أهل الكفر به، بأيدي أوليائه من أهل طاعته؛ فإنه سبحانه لا يمتنع عليه مخلوق، بل الخلق كلهم أذلاء مدبرون تحت تدبيره وقهره.. «الحكيم» في تدبيره لعباده المؤمنين على أعدائهم من أهل الكفر؛ لأن العزيز ينصر من يريد نصره، والحكيم يعلم من يستحق نصره وكيف يُعطاه، وله الحكمة في إدالة الكفار في بعض الأوقات على المسلمين إدالة غير مستقرة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾.

فكانه يقول: أبشروا أيها المؤمنون، بتدبيري لكم على أعدائكم، ونصري

إياكم عليهم، إن أنتم أطعتموني فيما أمرتكم به، وصبرتم لجهاد عدوّي وعدوّكم<sup>(١)</sup>.

### المثال الثاني:

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِيفٍ مِّنَ الْمَلَأِكَةِ مُرْدِفٍ ۚ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٩-١٠].

ويبين سيد رحمته الله تعالى مقدار الواجب على المؤمنين وأنه الممكن فعله، فلا يستبقوا من طاقتهم بقية، وأن يغالبوا الهزة الأولى التي أصابت بعضهم في مواجهة الخطر الواقعي، وأن يمشوا في طاعة أمر الله، واثقين بنصر الله.

وهنا ينتهي دورهم، وليست عليهم النتائج التي تكفل الله بها إذا أطاعوه، بل يجيء دور القدرة التي تصرفهم وتدبرهم.. وما عدا هذا فكان بشارة مطمئنة، وتثبيتاً للقلوب في مواجهة الخطر الواقعي.

وإنه ليكفي العصبية المؤمنة أن تشعر أن جند الله معها؛ لتطمئن قلوبها وتثبت في المعركة، ثم يجيء النصر من عند الله وحده، حيث لا يملك النصر غيره، وهو «العزیز» القادر الغالب على أمره، وهو «الحكيم» الذي يحل كل أمر محله<sup>(٢)</sup>. ا.هـ.

(١) انظر: جامع البيان (ج ٤ / ص ١٠٨-١٠٩)، معالم التنزيل (ج ١ / ص ٥٠٣)، المحرر الوجيز (ج ٢ / ص ٣٤٩)، مدارك التنزيل (ص ١٨٤)، تفسير القرآن العظيم (ج ١ / ص ٤٥٠)، تفسير الجلالين (ص ٦٦)، جامع البيان للإيجي (ص ١٦٠)، التحرير والتنوير (ج ٤ / ص ٧٧-٧٨)، تيسير الكريم الرحمن (ص ١٧٦).

(٢) في ظلال القرآن (ج ٣ / ص ١٤٨٤) بتصرف يسير.



### المثال الثالث:

من الصور العظيمة لمعية الله سبحانه وتعالى لعباده: حادثة الغار، قال عز وجل: ﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [براءة: ٤٠].

وفي الصحيحين<sup>(١)</sup> عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدثه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار!! فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه! فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين، الله ثالثهما؟».

فانظر معية الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولصاحبه ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مكة لما هموا بقتله، وسعوا في ذلك، وحرصوا أشد الحرص، فألجؤوه إلى أن يخرج.

وكان ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ أي: هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه. ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ لما هربا من مكة، لجأ إلى غار ثور في أسفل مكة، فمكثا فيه ليبرد عنهما الطلب.

فهما في تلك الحالة الحرجة الشديدة المشقة، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، فأنزل الله عليهما من نصره ما لا يخطر على البال.

(١) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي (ح ٣٦٥٣)، مسلم. كتاب فضائل الصحابة (ح ٢٣٨١) واللفظ له.

﴿إِذْ يَقُولُ﴾ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لَصَحِيحٌ﴾ أبي بكر رضي الله عنه لما حزن واشتد قلقه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بعونه ونصره وتأيبه. ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ أي: الثبات والطمأنينة والسكون المثبتة للفؤاد، ولهذا لما قلق صاحبه سكّنه وقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وهي الملائكة الكرام، الذين جعلهم الله حرساً له، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ - في ظنهم - على قتل المخدولة، فإن الذين كفروا قد كانوا على حرد قادرين - في ظنهم - على قتل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأخذه، حنقين عليه، فعملوا غاية مجهودهم في ذلك، فخذلهم الله ولم يتم لهم مقصودهم، بل ولا أدركوا شيئاً منه.

ونصر الله رسوله بدفعه عنه، وهذا هو النصر المذكور في هذا الموضع، فإن النصر على قسمين:

\* نصر المسلمين إذا طمعوا في عدوهم: بأن يُتم الله لهم ما طلبوا وقصدوا، ويستولوا على عدوهم ويظهروا عليهم.

\* والثاني: نصر المستضعف الذي طمع فيه عدوه القادر، فنصر الله إياه: أن يرد عنه عدوه، ويدفع عنه، ولعل هذا النصر أنفع النصرين، ونصر الله رسوله إذ أخرج الذين كفروا ثاني اثنين من هذا النوع<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر السعدي رحمه الله تعالى من فوائد هذه الآية - مما يتعلق بموضوعنا -:

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٥٤ - ٤٥٥)، ومدارك التنزيل (ص ٤٣٦).

١ - فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته.

٢ - وفيها: أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى - إذا نزل بالعبد - أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضعف للقلب، موهن للعزيمة<sup>(١)</sup>.

### المثال الرابع:

من أجمل صور معية الله للمؤمنين، مواساتهم حين يكسرهم عدوهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٣٩]، وهذا تعزية من الله لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما أصابهم من الجراح والقتل بأحد.

قال: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ أي: ولا تضعفوا عن جهاد عدوكم وحربهم بسبب ما نالكم من عدوكم من القتل والقروح.. وأصل الوهن ضعف الذات، وهو هنا مجاز في خور العزيمة، وضعف الإرادة، وانقلاب الرجاء يأساً، والشجاعة جنباً، واليقين شكاً.. ولذلك نهوا عنه.

﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: والحزن هو شدة الأسف البالغة حد الكآبة والانكسار، حتى يجزع الإنسان على ما أصابه من مصيبة.

والوهن والحزن حالتان للنفس تنشآن عن اعتقاد الخيبة والرزء، فيترتب عليهما الاستسلام وترك المقاومة، فالنهى عن الوهن والحزن في الحقيقة نهى عن سببهما وهو الاعتقاد، كما ينهى أحد عن النسيان.

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٥٥).

فبين الله سبحانه لعباده أن: الحزن في القلوب والوهن على الأبدان زيادة مصيبة عليكم، وأعوان لعدوكم عليكم، بل شجعوا قلوبكم وصبروها وادفعوا عنها الحزن، وتصلبوا على قتال عدوكم.

ومنّ عليهم بنعمة، إذا تذكروها غُسل ما في قلوبهم من الوهن وما في أرواحهم من الحزن: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾، يعني: الظاهرُونَ عليهم، قال سيد: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾:

- عقيدتكم أعلى؛ فأنتم تسجدون لله وحده، وهم يسجدون لشيء من خلقه أو لبعض من خلقه!

- ومنهجمكم أعلى؛ فأنتم تسيرون على منهج من صنع الله، وهم يسيرون على منهج من صنع خلق الله!

- ودوركم أعلى؛ فأنتم الأوصياء على هذه البشرية كلها، الهداة لهذه البشرية كلها، وهم شاردون عن النهج، ضالون عن الطريق.

- ومكانكم في الأرض أعلى؛ فلكم وراثه الأرض التي وعدكم الله بها، وهم إلى الفناء والنسيان صائرون.

فإن كنتم مؤمنين حقاً فأنتم الأعلون. وإن كنتم مؤمنين حقاً فلا تهنوا ولا تحزنوا. فإنما هي سنة الله أن تصابوا وتصيبوا، على أن تكون لكم العقبي بعد الجهاد والابتلاء والتمحيص. ا.هـ<sup>(١)</sup>.

فذكر تعالى أنه لا يليق بهم الوهن والحزن وهم الأعلون في الإيمان ورجاء نصر الله وثوابه.

(١) في ظلال القرآن (ج ١ / ص ٤٨٠).

قال الإمام الزهري رحمه الله: كثر في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم القتل والجراح، حتى خلع إلى كل امرئ منهم البأس، فأنزل الله عز وجل القرآن، فآسى فيه المؤمنين بأحسن ما آسى به قومًا من المسلمين كانوا قبلهم من الأمم الماضية.

وقال الحسن رحمه الله تعالى في قوله: ﴿إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾، قال: إن يقتلوا منكم يوم أحد، فقد قتلتم منهم يوم بدر.  
قال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ من فرح وغم، وصحة وسقم، وغنى وفقر، والدولة: الكثرة، قال الشاعر:

فِيَوْمٍ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا      وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرُّ<sup>(١)</sup>  
ولله در القائل:

يُرَاعِ الْفَتَى لِلخَطْبُ تَبْدُو صَدُورُهُ      فَيَأْسَى، وَفِي عَقْبَاهُ يَأْتِي سُرُورُهُ  
أَلَمْ تَرِ أَنَّ اللَّيْلَ لَمَّا تَرَاكَمَتْ      دُجَاهُ: بَدَا وَجْهُ الصَّبَاحِ وَنُورُهُ  
فَلَا تَصْحَبَنَّ الْيَأْسَ إِنْ كُنْتَ عَالِمًا      لَبِيبًا؛ فَإِنَّ الدَّهْرَ شَتَّى أُمُورُهُ<sup>(٢)</sup>

فانظر كيف يواسيهم الله سبحانه وتعالى، وفي هذا ما يخفف على المؤمن لأواء الدنيا ومصائبها بلا شك.

(١) انظر: جامع البيان (ج ٤ / ص ١٣٠-١٣٢) باختصار، معالم التنزيل (ج ١ / ص ٥١٣-٥١٤)، المحرر الوجيز (ج ٢ / ص ٣٦٣)، الجامع لأحكام القرآن (ج ٤ / ص ٢١٣)، مدارك التنزيل (ص ١٨٧)، تفسير القرآن العظيم (ج ١ / ص ٤٥٧)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ١ / ص ٢٧٢)، تفسير الجلالين (ص ٦٧)، جامع البيان لمعين الدين الإيجي (ص ١٦٢)، التحرير والتنوير (ج ٤ / ص ٩٨)، تيسير الكريم الرحمن (ص ١٨٠-١٨١).

(٢) أدب الدنيا والدين (ص ٧١٨).

## \* قصة تظهر معية الله لعبده المؤمن:

هذا الحديث فيه معية الله لولي من أوليائه وهو الصحابي الجليل أبي بن كعب رضي الله عنه، أخرج ما كان إلى تثبيت الله ومعيته، فإنه قال: كنت في المسجد، فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه.

فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ، فحسّن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني، ضرب في صدري، ففضت عرقاً وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقاً، فقال لي:

«يا أباي، أرسل إليّ أن: اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن: هون على أمتي، فرد إلي الثانية: اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن: هون على أمتي، فرد إلي الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف...» الحديث<sup>(١)</sup>.

ويرى ابن كثير في تفسيره أن ذلك هو سبب قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم سورة البينة على أبي، ففي الصحيحين<sup>(٢)</sup> من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي بن كعب رضي الله عنه: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البينة: ١]» قال: وسماني

(١) صحيح مسلم. كتاب صلاة المسافرين (ح ٨٢٠).

(٢) المسند (ج ٥ / ص ١٢٣)، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار (ح ٣٨٠٩)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين (ح ٧٩٩).

لك؟ قال: «نعم» قال: فبكى.

ومن فوائد هذا الحديث: البكاء للسرور والفرح مما يبشّر الإنسان به ويعطاه من معالي الأمور<sup>(١)</sup>. ففي المسند أنه قيل له: يا أبا المنذر، فرحت بذلك؟ قال: وما يمنعني والله تبارك وتعالى يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ﴾ فلتفرحوا هو خير مما يجمعون<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: قرأها عليه قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذار، لا قراءة تعلم واستذكار، والله أعلم<sup>(٣)</sup>.

### المطلب الثاني: الفرح بالنصر على الأعداء:

وهو من الفرح بمعية الله سبحانه وتعالى للمؤمنين؛ فإن المؤمنين يعلمون أنهم ربما واجهوا أعداءهم بعدد وعدة أقل منهم بكثير، ومع ذلك تدفعهم - الثقة بالله وبمعيته وبنصره.

- وما كتب لهم التاريخ من وقائع عظيمة كان الله فيها مع المؤمنين إذا أطيعوه واتقوا سخطه.

وقد ورد في الفرح بالنصر آيات عديدة، منها الأمثلة الآتية:

### المثال الأول:

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ غَلِبَتِ الرُّومُ﴾ (١) ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (٢) ﴿يَضَعُ سِنِيكَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٣) ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٤) [الروم: ١-٥].

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم (ج ٦ / ص ٨٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (ج ٧ / ص ٦٢٢) ط. ابن الجوزي الدمام. في أول تفسير سورة البينة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان المسلمون يُحبون أن تغلب الروم أهل الكتاب، وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس؛ لأنهم أهل أوثان، قال: فذكروا ذلك لأبي بكر رضي الله عنه، فذكره أبو بكر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «أَمَا إِنَّهُمْ سَيُهْزَمُونَ»، قال: فذكر ذلك أبو بكر للمشركين، قال: فقالوا: أفنجعل بيننا وبينكم أجلا؛ فإن غلبوا كان لك كذا وكذا، وإن غلبنا كان لنا كذا وكذا؟، وقال: فاجعلوا بينهم وبينه أجلا خمس سنين.

قال: فمضت فلم يغلبوا، قال: فذكر ذلك أبو بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ دُونَ الْعَشْرِ» - قال سعيد: والبضع ما دون العشر - قال: فَغَلَبَ الروم، ثم غلبت، قال: فذلك قوله: ﴿الَّذِينَ غَلِبَتِ الرُّومُ ۚ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۚ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۚ﴾ قال: البضع: ما دون العشر، ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۚ﴾ قال سفيان - هو الثوري -: فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر.

و سئل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن ذلك، فقال: التقينا مع محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومشركي العرب، والتقت الروم وفارس، فنصرنا الله على مشركي العرب، ونصر الله أهل الكتاب على المجوس، وفرحنا بنصر الله إيانا على المشركين، وفرحنا بنصر الله أهل الكتاب على المجوس، فذلك قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۚ﴾ بنصر الله ﴿١﴾.

(١) انظر: جامع البيان (ج ٢١ / ص ٢١)، معالم التنزيل (ج ٤ / ص ٥٦٩ - ٥٧١)، تفسير القرآن العظيم (ج ٣ / ص ١٧٨٧ - ١٧٩٢)، لباب النقول في أسباب النزول (ص ٣٧٤)، جامع الترمذي، كتاب التفسير (ح ٣١٩٢) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وصححه الألباني.



ويبين الشيخ السعدي رحمه الله تعالى سبب ذلك الفرح رغم أن كلا الفريقين كفار، فيقول: يفرحون بانتصارهم على الفرس - وإن كان الجميع كفارا- ولكن بعض الشر أهون من بعض. ويحزن يومئذ المشركون.

ثم يبرز المعنى اللطيف لختم الآيات بهذين الاسمين العظيمين ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾: بأن العزيز قهر بعزته الخلائق أجمعين، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء.. وهو الرَّحِيم بعباده المؤمنين حيث قيض لهم من الأسباب التي تسعدهم وتنصرهم ما لا يدخل في الحساب. وربما كان من أسباب فرح المسلمين ما ذكره ابن عطية رحمه الله من محبة أن يغلب العدو الأصغر؛ لأنه أيسر مؤونة، ومتى غلب الأكبر كثر الخوف منه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرجو أن يظهر شرع الله تعالى عز وجل الذي بعثه به، ويغلب الأمم، وفي المقابل كان كفار مكة يتمنون أن يرميه الله تعالى بملك يستأصله ويريحهم منه.

وأفاد ابن عاشور أن هذا التعاقب بين الدولتين في النصر كان تهيئة أسباب انتصار المسلمين على الفريقين إذا حاربوهم بعد ذلك لنشر دين الله في بلادهم، كما اقتضته حكمة الله، وقد أوماً إلى هذا قوله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾... وأضيف النصر إلى اسم الجلالة في قوله تعالى: ﴿يَنْصُرِ اللَّهُ﴾ للتنويه بذلك النصر، وأنه عناية لأجل المسلمين.

وزاد القرطبي عن النحاس قولاً ثالثاً، وهو أن فرحهم إنما كان لإنجاز وعد الله تعالى؛ إذ كان فيه دليل على النبوة؛ لأنه تبارك وتعالى أخبر بما يكون في بضع سنين فكان فيه.

ثم مال القرطبي إلى أن يكون سرورهم بالمجموع من ذلك:

١- فسُرُّوا بظهورهم على عدوهم.

٢- وبظهور الروم أيضا.

٣- وبإنجاز وعد الله<sup>(١)</sup>.

### المثال الثاني:

من الآيات التي فيها الدعوة إلى الفرح والاستبشار بنصر الله قوله تعالى:

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣].

فإن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بالإيمان به وباليوم الآخر وبالجهاد في سبيله، ووعدهم على ذلك الجنة.

لكن فضل الله عظيم، وهو يعلم من تلك النفوس أنها تتعلق بشيء قريب في هذه الأرض، يناسب تركيبها البشري المحدود، وهو يستجيب لها فيبشرها بما قدره في علمه المكنون من إظهار هذا الدين في الأرض، وتحقيق منهجه وهيئته على الحياة في ذلك الجيل: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا: نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فلا ريب -إذن- أن فرح المؤمن بمعية الله سبحانه وتعالى وبنصره على أعدائه من أعظم صور الفرح المحمود؛ فإنها مرتكزة على محبة الله في قلب المؤمن، وبالتالي محبة منهجه السماوي العظيم، والاستبشار بانتصاره، حتى يشعر المؤمن أن انتصاره إنما هو بانتصار دينه الذي ارتضاه الله.

(١) انظر: المحرر الوجيز (ج ٧ / ص ٧)، التحرير والتنوير (ج ٢١ / ص ٤٧)، الجامع لأحكام القرآن

(ج ١٤ / ص ٩ - ١٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٩١).

(٢) في ظلال القرآن (ج ٦ / ص ٣٥٦٠).

### المطلب الثالث: الفرح بهلاك الظالمين:

وكما يفرح المؤمن بمعية الله له، فإن الله يعلمه أن يفرح بهلاك الظالمين ويستبشر بذلك، وهذه سنة يهملها كثير من المسلمين، بل ربما وقع من بعضهم نقيض ذلك: ألا وهو الحزن على الظالمين إذا هلكوا أو أصيبوا؛ لأسباب ليس لها في ميزان الله قدر.

وفي هذا أمثلة من القرآن الكريم، أذكر منها:

#### المثال الأول:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ٤٢﴾ ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٤٣﴾ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الأنعام: ٤٢-٤٥].

قال البغوي رحمه الله تعالى: حمد الله نفسه على أن قطع دابرهم؛ لأنه نعمة على الرسل، فذكر الحمد لله تعليماً لهم ولمن آمن بهم، أن يحمدوا الله على كفايته شر الظالمين، وليحمد محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ربهم إذا أهلك المكذبين<sup>(١)</sup>.

فهو إيدان بوجوب الحمد لله - كما قال الزمخشري - عند هلاك الظلمة، وأنه من أجل النعم وأجل القسم<sup>(٢)</sup>.

(١) معالم التنزيل (ج ٢ / ص ١٢٤).

(٢) الكشف (ج ٢ / ص ١٨)، مدارك التنزيل (ص ٣٢٢).

والسبب في الفرح بهلاك الظالمين: ما يظهر من إكرام الله لأوليائه، وتطهير الأرض من ناشري الظلم في الناس.

قال السعدي: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على ما قضاه وقدره، من هلاك المكذبين؛ فإن بذلك:

١- تتبين آياته.

٢- وإكرامه لأوليائه.

٣- وإهانته لأعدائه.

٤- وصدق ما جاءت به المرسلون.

ويقول سيد قطب: وهل يُحمد الله على نعمة أجلّ من نعمة تطهير الأرض من الظالمين، أو على رحمة أجلّ من رحمته لعباده بهذا التطهير؟<sup>(١)</sup>.

ففي الآية تنبيه - كما قال الطاهر بن عاشور - على أنه يحق الحمد لله عند هلاك الظلمة؛ لأن هلاكهم صلاح للناس، والصلاح أعظم النعم، وشكر النعمة واجب، وهذا الحمد شكر؛ لأنه مقابل نعمة.

وإنما كان هلاكهم صلاحاً لأن الظلم تغيير للحقوق، وإبطال للعمل بالشرعية، فإذا تغير الحق والصلاح جاء الدمار والفوضى، وافتتن الناس في حياتهم، فإذا هلك الظالمون عاد العدل، وهو ميزان قوام العالم<sup>(٢)</sup>.

### المثال الثاني:

يقول الله عز وجل: ﴿الْأَنفُكِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ وَهَكُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَٰئِكَ مَرَّةً كَتَبْنَا لَهُمُ الْخُشُوعَ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٣٣٢).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (ج ٢ / ص ١٠٩٠)، التحرير والتنوير (ج ٧ / ص ٢٣٢).

تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَبْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ [براءة: ١٣-١٥].

فقد جعل سبحانه وتعالى شفاء صدور المؤمنين جائزة ينالونها بجهادهم.. وذلك الداء الذي يشفيهم منه هو ما كان في قلوبهم عليهم من الحنق والغيط عليهم بما كانوا ينالونهم به من الأذى والمكروه؛ لأن كل ما يهد من الكفر هو شفاء من هم صدور المؤمنين.

ويرى مجاهد والسدي أن الله عنى بقوله: (ويشف صدور قوم مؤمنين): صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وذلك أن قريشاً نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمعونتهم بكراً عليهم، فكانوا يؤذون أن يؤذن لهم بقتالهم، فلما أمر الله بنقض عهود المشركين سُرُوا بذلك وفرحوا.

ورجح ابن كثير أن هذا عام في المؤمنين كلهم.

وهذا يدل على محبة الله لعباده المؤمنين واعتناؤه بأحوالهم حتى إنه جعل -من جملة المقاصد الشرعية- شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم.<sup>(١)</sup> هـ.

فكيف لا يفرح المؤمن بهلاك الظالمين وقد جعله الله مقصداً شرعياً، ودلالة على مكانة المؤمنين عند الله سبحانه وتعالى؟!.

(١) انظر: جامع البيان (ج ١٠ / ص ١٠٤-١٠٥)، معالم التنزيل (ج ٢ / ص ٣٢٢)، المحرر الوجيز (ج ٤ / ص ٢٧٢-٢٧٣)، الجامع لأحكام القرآن (ج ٨ / ص ٨٠)، مدارك التنزيل (ص ٤٢٨)، تفسير القرآن العظيم (ج ٢ / ص ١٠٤٣)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٢ / ص ١٣٦)، لباب النقول (ص ٢٣٢)، جامع البيان للإيجي (ص ٣٧٢)، التحرير والتنوير (ج ١٠ / ص ١٣٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٤٤).

### المثال الثالث:

وفي هذا المثال يذكر الله لنا قصة امرأة مؤمنة فرحت بقرب العذاب على قوم من الكافرين، وهي سارة امرأة إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود: ٦٩-٧١].

ذكر المفسرون في سبب ضحك سارة أقوالاً، لعل من أقواها قول قتادة رحمه الله: أنها ضحكت من أن قوم لوط في غفلة وقد جاءت رسل الله لهلاكهم. وأيد هذا القول إمام المفسرين الطبري؛ بأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم: (لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط)، ولا وجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم: (لا تخف)، فيكون الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط.

ومال سيد رحمه الله إلى هذا الرأي وأن ضحكها كان ابتهاجاً بهلاك القوم الملوئين.

ويجعل الحافظ ابن كثير رحمه الله مجازاتها بالبشارة بالولد إنما كان لاستبشارها بهلاكهم؛ لكثرة فسادهم، وغِلظ كفرهم وعنادهم<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: جامع البيان (ج ١٢ / ص ٨٢)، معالم التنزيل (ج ٢ / ص ٤٥٦)، المحرر الوجيز (ج ٤ / ص ٦١٠)، الجامع لأحكام القرآن (ج ٩ / ص ٦٠)، مدارك التنزيل (ص ٥٠٥)، تفسير القرآن العظيم (ج ٢ / ص ١١٦٣-١١٦٤)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٢ / ص ٢٠٤)، تفسير الجلالين (ص ٢٢٩)، في ظلال القرآن (ج ٤ / ص ١٩١٢).

فهو يعدّ هذا الفرّح حسنة أثبت عليها سارة بهذا الثواب الكبير: البشارة بالولد بعد الإياس، ولا شك في ذلك؛ فإنه لم يكن ليدخل في أنواع الفرّح المحمود إلا من أجل أن الله يرضاه ويثيب عليه، ولو لم يحمدّه الله لم يكن محموداً.

فتبين لنا مما سبق في هذا المبحث أن الفرّح بمعية الله وبنصره و بهلاك الظالمين من الفرّح المحمود الذي يثاب عليه العبد، والذي يدل على محبته لربه ولدينه، وعلى بغضه أعداء الله سبحانه وتعالى.

## المبحث الخامس

### فرح المؤمن بما ينال غيره من الخير

وهذه خصلة اتصف بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وظهرت جلية في نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، اتصف بها وحث عليها، فعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» أي من الخير - كما في رواية خارج الصحيح - والخير كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدنيوية والأخروية، أفاده الحافظ ابن حجر<sup>(١)</sup>، وحب الشيء يقتضي الفرح بحصوله.

وقد يكون الإنسان سببا في فرح الناس بما يناله من خير وعكسه، قال ابن المقفع: «وليكن متواضعا ليُفرح له بالخير ولا يُحسد عليه، وليكن قنعا لتقر عينه بما أوتي، وليسر للناس بالخير لئلا يؤذيه الحسد»<sup>(٢)</sup>.

وليُعقد في ذلك المطالب الآتية:

**المطلب الأول: الحزن على الضالين من الناس:**

وفي هذا أمثلة:

**المثال الأول:**

مؤمن يس، قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ

(١) صحيح البخاري. كتاب الإيمان (ح ١٣)، وصحيح مسلم. كتاب الإيمان (ح ٤٥)، وانظر: فتح الباري

(ج ١ / ص ٥٧).

(٢) الأدب الصغير ص ٤٤.



اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا  
أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ  
لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنْ أَرَادْتُ لِفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنْ  
ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ [يس: ٢٠-٢٥].

قال ابن إسحاق -فيما بلغه عن ابن عباس وكعب ووهب-: فلما قال ذلك  
وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه، ولم يكن له أحد يمنع عنه.. وقال قتادة: جعلوا  
يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: «اللهم اهد قومي، فإنهم لا يعلمون». فلم يزالوا  
به حتى أقعصوه وهو يقول كذلك، فقتلوه، رحمه الله.

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي  
مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ [يس: ٢٦-٢٧] قال ابن عباس: نصح قومه في حياته وبعد مماته،  
وقال قتادة: لا تلقى المؤمن إلا ناصحا، لا تلقاه غاشا؛ لَمَّا عَايَنَ مَا عَايَنَ مِنْ  
كَرَامَةِ اللَّهِ؛ ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾  
[يس: ٢٦٢٧] (١).

### المثال الثاني:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساعيا في هداية الناس أعظم  
السعي، فكان يحزن ويأسف على المكذبين الضالين؛ شفقة منه صلى الله عليه  
وسلم عليهم، ورحمة بهم، حتى يكاد يقتل نفسه ويهلكها حزنا وتلهفا ووجدا  
عليهم.. وهذا يدل على أنه يفرح ويسر بهداية المهتدين، فأرشده الله أن لا يشغل  
نفسه بالأسف على هؤلاء، الذين لا يؤمنون بهذا القرآن: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخْخٌ تَفْسَكُ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (ج ٦ / ص ٥٧١-٥٧٣) ط. دار طيبة.

عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ [الكهف: ٦].

قال ابن إسحاق: يعاتبه على حزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم: أي لا تفعل<sup>(١)</sup>.

وقد تكرر هذا المعنى في مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨]، وقال: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقال: ﴿لَعَلَّكَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ تَكُونُ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣].

وهذا يصور مدى ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعاني من تكذيبهم، وهو يوقن بما ينتظرهم بعد التكذيب، فتذوب نفسه عليهم وهم أهله وعشيرته وقومه، ويضيق صدره.. قال قتادة: لعلك من الحرص على إيمانهم مخرج نفسك من جسدك، قال: ذلك البخع.

وهذه تسلية من الله لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه، في عدم إيمان مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ مِنَ الْكُفَّارِ، فَرَبُّهُ يَرَأْفُ بِهِ، وينهضه عن هذا الهم القاتل، ويهون عليه الأمر، ويقول له: إِنْ إِيْمَانُهُمْ لَيْسَ مِمَّا كُفِّتَ؛ وَلَوْ شِئْنَا أَنْ نَكْرَهُهُمْ عَلَيْهِ لَأَكْرَهْنَاهُمْ، ولأنزلنا من السماء آية قاهرة لا يملكون معها جدالاً ولا انصرافاً عن الإيمان.. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ بَعْدَهَا: ﴿إِنْ شِئْنَا نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ أي: لو شئنا لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهراً، ولكننا لا نفعل ذلك؛ لأننا لا نريد من أحد إلا الإيمان الاختياري<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (ص ٢٧١)، جامع البيان (١٧ / ٥٩٨) طبعة التركي، تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٧٠).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (١٩ / ٣٣٠) طبعة التركي، تفسير ابن كثير (٦ / ١٣٥) طبعة دار طيبة، في ظلال القرآن (٥ / ٢٥٨٤).

والمقصود من إيراد هذه الآيات وكلام علماء التفسير فيها: بيان حزن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الناس حين يُعرضون عن دعوة الحق، ولا شك أن مقابله هو فرحه بهداية الناس ورجوعهم إلى الله سبحانه وتعالى، وأخبار ذلك كثيرة في استبشاره بإسلام ألد أعدائه عليه الصلاة والسلام، وفرحه بقبول الله توبة العصاة، كما سيرد في المطلب الآتي:

### المطلب الثاني: الفرح بهداية الناس ونفعهم:

وهي الصورة المكملة لما في المطلب الأول، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان ٦٨]، ثم نزلت: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح فرحاً قط أشد فرحاً منه بها. وب﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]<sup>(١)</sup>.

وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

### المثال الأول:

في قصة إسلام خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمرو بن العاص رضي الله عنهم، والتي يرويها خالد، ويروي موقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين علم بقدمهم مسلمين، يقول:

«فأخبر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسرّ بنا، فلبست من صالح

(١) مجمع الزوائد (ج ١٠ / ص ٣٢١ - ٣٢٢)، وقال الهيثمي رحمه الله: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن.

ثيابي، ثم عمدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيني أخي -يعني الوليد بن الوليد- فقال: أسرع؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر بك فسُرَّ بقدمك وهو ينتظركم، فأسرعنا المشي فاطلعتُ عليه فما زال يتبسم إليَّ حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة، فرد علي السلام بوجهٍ طلق، فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يُسلمك إلا إلى خير)» وقال خالد: «وكان قدومنا في صفر سنة ثمان»<sup>(١)</sup>.

وأظن القارئ لهذه القصة يلحظ تعجب خالد من سرور النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين استقبلهم، فإنهم أسلموا سنة ثمان للهجرة، وقد كانوا من أشد الناس عداوة ونكاية بالمسلمين، واستمروا على كفرهم أكثر من عشرين سنة.

ولهذا كرر خالد أربع مرات ما رآه من فرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقدمهم مسلمين:

- ١- «فأخبر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسُرَّ بنا».
- ٢- «أسرع؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر بك فسُرَّ بقدمك وهو ينتظركم».
- ٣- «فاطلعتُ عليه فما زال يتبسم إليَّ».
- ٤- «فرد عليَّ السلام بوجهٍ طلق!!»

فما نال هؤلاء الثلاثة من الخير العظيم بالإسلام شفع عند رسول الله لهم

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (ج ٤/ ص ٣٥١).

فيما اقترفوه من قبل، وصدق الله العظيم إذ يقول له: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

### المثال الثاني:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعده عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار». وفي المسند: يعوده وهو بالموت<sup>(١)</sup>.

فرسول الله -صلى الله عليه وسلم- رعا له عهد خدمته، فسُرَّ بإسلامه؛ حيث كانت صحبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نافعة له مباركة عليه. قاله ابن هبيرة رحمه الله<sup>(٢)</sup>.

فهي صورة صادقة لحرص المؤمن على هداية أهله وأقاربه، وفرحه بإيمانهم، وحزنه -في مقابل ذلك- عليهم إذا ماتوا على الشرك.

إذن، فالفرح بما ينال الناس من الخير والهداية فرح محمود؛ لأنه يدل على أن هوى ذلك المؤمن موافق لما جاء الله به، وأن مشاعره أصبحت معبّدة لله سبحانه وتعالى حتى في فرحه وحزنه، مع ما يصيب قلب الذي يحب الخير للناس من السعادة التي لا يعرفها إلا من جرب خدمة الناس وإدخال السرور عليهم.

(١) مسند أحمد بن حنبل (٣/ ٢٨٠)، وصحيح البخاري. كتاب الجنائز (ح ١٣٥٦).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٣٠٥).

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«أحب الناس إلى الله - عز و جل - أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً.

ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً في مسجد المدينة.

ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غضبه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رخاء يوم القيامة.

ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له ثبّت الله قدمه يوم تزل الأقدام»<sup>(١)</sup>.

وهو حديث عظيم دال على فضل نفع الناس وإيصال الخير لهم، وأن من تعرض لذلك وفعله ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى كان قريباً من الله حبیباً إليه. قال أفلاطون: إن إشراكنا غيرنا في مسراتنا يزيدنا إحساساً بتلك المسرات، وقال أرسطو: إننا في حبنا الخير لغيرنا وفي بحثنا عنه نجد لأنفسنا خيراً<sup>(٢)</sup>.

نسأل الله أن يجعلنا من عباده المقربين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(١) مجمع الزوائد (ج ٨ / ص ٣٤٩) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الثلاثة وفيه سُكين بن سراج وهو

ضعيف، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (ح ١٧٦).

(٢) الشخصية، لمحمد عطية الأبراشي (ص ٤٨).

### المطلب الثالث: استبشار الشهداء بإخوانهم السائرين على نهجهم:

ومن فرح المؤمن بما ينال غيره من الخير: استبشار الشهداء بإخوانهم الذين لم يستشهدوا بعد، وشوقهم لينالوا ما نالوه هم من الكرامة، يقول الله عز وجل عنهم:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرَحِينَ يَمَّا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

فالشهداء يفرحون بمن لم يلحق بهم من إخوانهم الذين لا زالوا في الدنيا وهم على نفس طريقهم من جهاد أعداء الله؛ لعلمهم بأنهم إن استشهدوا فلحقوا بهم صاروا من كرامة الله إلى مثل الذي صاروا هم إليه، فهم لذلك مستبشرون بهم، فرحون أنهم إذا صاروا كذلك «لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»، يعني بذلك:

لا خوف عليهم؛ لأنهم قد آمنوا عقاب الله، وأيقنوا برضاه عنهم، فقد آمنوا بالخوف الذي كانوا يخافونه من ذلك في الدنيا.

ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من أسباب الدنيا ونكد عيشها؛ للنعيم الذي صاروا إليه.

واستبشارهم بزوال المحذور عنهم وعن إخوانهم، يستلزم كمال السرور، كما قال السعدي.

وفي هذه الآيات إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان عند ربهم،

وفيه تلاقي أرواح أهل الخير، وزيارة بعضهم بعضاً، وتبشير بعضهم بعضاً<sup>(١)</sup>. إذن، ففرح المؤمن بما ينال غيره من الخير من الفرح المحمود، وهو علامة على سلامة الصدر من الأثرة والحسد.

وأخيراً فقد مررنا في هذا الفصل برياض نضرة من آيات الله وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم كلها تذكر الفرح المحمود، وهو ما كان فرحاً مطلوباً شرعاً؛ لما فيه من رضا الله سبحانه وتعالى ونفع الناس، وأن له صوراً كثيرة: منها فرح المؤمن بإيمانه وتقواه أقوالاً وأفعالا واعتقادات، والفرح بالقرآن الكريم، ومنها فرح المؤمن بشعوره الصادق بمعية الله له وبنصره على أعدائه، وفرحه كذلك بهلاك الظالمين، ومنها فرح المؤمن بما ينال غيره من الخير.. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل فرحنا وحزننا ومشاعرنا كلها تابعة لمرضاته.

(١) انظر: جامع البيان (ج ٤ / ص ٢١٤ - ٢٢٠)، معالم التنزيل (ج ١ / ص ٥٣٥ - ٥٣٨)، المحرر الوجيز (ج ٢ / ص ٤٢٠ - ٤٢١)، الجامع لأحكام القرآن (ج ٤ / ص ٢٦٨)، تفسير القرآن العظيم (ج ١ / ص ٤٧٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ١ / ص ٢٨٣)، تفسير الجلالين (ص ٧٢)، جامع البيان للإيجي (ص ١٧١)، التحرير والتنوير (ج ٤ / ص ١٦٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص ١٣٩ - ١٤٠).





## الفصل الثاني

### الفرح المذموم

ويشتمل على مباحث:

#### المبحث الأول

#### حقيقة الفرح المذموم والدافع عليه

##### المطلب الأول: حقيقة الفرح المذموم:

الفرح المذموم على لسان الشرع مبناه وقاعدته: الفرح بمخالفة أمر الله عز وجل، وهو فرح باطل بغير حق؛ لأن العبد يقابل نعم الله سبحانه وتعالى عليه بالمعصية والكفران، ثم لا يكفيه ذلك حتى ينحط لدرجة الفرح بمخالفة أمر خالقه ورازقه سبحانه.

وهذا الفرح هو الذي نزلت في أصحابه آيات التوبيخ والتقريع التي تصور لنا بعض مشاهد يوم القيامة، حيث يصيبهم الصغار والهوان، ومنها قول الله عز وجل: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]. فالعذاب الذي أنتم فيه؛ بفرحكم الذي كنتم تفرحونه في الدنيا، بغير ما أذن لكم به من الباطل والمعاصي، وبالعلوم التي خالفتكم بها علوم الرسل، وبما كنتم تمرحون على عباد الله؛ بغياً وعدواناً وظلماً وعصياناً، والمرح: هو الأشر والبطر.

وهذا هو الفرح المذموم الموجب للعقاب، بخلاف الفرح الممدوح الذي قال الله فيه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، وهو الفرح بالعلم النافع، والعمل الصالح.

ومن آثار فرحهم بالباطل - كما قال ابن عاشور رحمه الله تعالى - تطاولهم على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومن المرح بالباطل: استهزاءهم بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبالمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿[المطففين: ٣٠-٣١] (١).

### المطلب الثاني: الدافع على الفرح المذموم:

يتضح الدافع على الفرح المذموم في قول الله سبحانه وتعالى في أصحاب النار - أجارنا الله منها -: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الانشقاق: ١٠-١٣].

قال المفسرون: يعني في الدنيا، باتباع هواه وركوب شهوته ومخالفته أمر الله.

ويضع ابن كثير يده على سر الداء، وأن الباعث على ذلك الفرح أنه لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما أمامه، ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ أي: كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته، فأعقبه ذلك الفرح اليسير: الحزن الطويل (٢).

(١) انظر: جامع البيان (ج ٢٤ / ص ٩٩)، المحرر الوجيز (ج ٧ / ص ٤٥٧)، تفسير القرآن العظيم (ج ٤ / ص ٢٠٤٩) وذكر أن الملائكة هي التي تقول لهم ذلك على وجه التوبيخ، التحرير والتنوير (ج ٤ / ص ٢٠٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص ١٠٤٤).

(٢) انظر: جامع البيان (ج ٣٠ / ص ١٤٥)، معالم التنزيل (ج ٥ / ص ٢٢٩)، تفسير القرآن العظيم (ج ٤ / ص ٢٤٨١)، تيسير الكريم الرحمن (ص ١٢٩٣)، في ظلال القرآن (ج ٦ / ص ٣٨٦٨).

وبهذا يظهر جليا أمور:

### الأمر الأول: أثر الغفلة على سلوك الكافر:

إن الدافع على الفرح المذموم هو الغفلة عن الآخرة، وعدم التفكير في لقاء الله عز وجل، مما يفقد الإنسان المعنى الحقيقي للحياة، فيعيش فيها عيشة البهائم، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢] .

فهم يَتَمَتَّعُونَ في الدنيا وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم، وهم لاهون ساهون عما في غدٍ، لا يهتمون بالحل والحرمة، ولا بالقلة والكثرة، لا شكر ولا حمد.

وذلك أنهم وُكِّلُوا إلى أنفسهم، فلم يتصفوا بصفات المروءة، ولا الصفات الإنسانية، بل نزلوا عنها دركات، وصاروا كالأنعام، التي لا عقل لها ولا فضل، بل جل همهم ومقصدهم التمتع بلذات الدنيا وشهواتها، فترى حركاتهم الظاهرة والباطنة دائرة حولها، غير متعدية لها إلى ما فيه الخير والسعادة، ولهذا كانت النار مثوى لهم، أي: منزلا معدا، لا يخرجون منها، ولا يُفْتَرَّ عنهم من عذابها.. فمعنى الكلام: أن الكافر يعيش عديم النظر والفهم، كما تعيش البهيمة.

قال البغوي: وقد قيل: المؤمن في الدنيا يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع، ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: معالم التنزيل (ج ٤ / ص ٢١١)، المحرر الوجيز (ج ٧ / ص ٦٤٤ - ٦٤٥)، الجامع لأحكام القرآن (ج ١٦ / ص ٢٠٠)، تفسير القرآن العظيم (ج ٤ / ص ٢١٤٠)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٤ / ص ٨٩)، تفسير الجلالين (ص ٥٠٨)، جامع البيان للإيجي (ص ٨٩٥)، التحرير والتنوير (ج ٢٦ /

### الأمر الثاني: نصيب المؤمن ونصيب الكافر يوم القيامة:

ليس معنى ذلك أن المؤمنين لا يتمتعون بما أحل الله لهم من طيبات الأرض، قال سيد -رحمه الله- وهو يجلي هذا المفهوم:

والذين آمنوا وعملوا الصالحات يتمتعون في الأرض أحياناً من أطيب المتاع، ولكن الموازنة هنا إنما تقوم بين النصيب الحقيقي الضخم للمؤمنين -وهو نصيبهم في الجنة- والنصيب الكلي للكافرين الذي لا نصيب لهم سواه. ونصيب المؤمنين يتلقونه من يد الله في جنات تجري من تحتها الأنهار، متناسقاً في رفعة وكرامته مع الارتفاع المنطلق من الإيمان والصلاح.

ونصيب الذين كفروا متاع وأكل ﴿كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾، وهو تصوير زري، يذهب بكل سمات الإنسان ومعالمه؛ ويلقي ظلال الأكل الحيواني الشره، والمتاع الحيواني الغليظ، بلا تذوق، وبلا تعفف عن جميل أو قبيح.. إنه المتاع الذي:

١- لا ضابط له من إرادة.

٢- ولا حارس عليه من تقوى.

٣- ولا رادع عنه من ضمير<sup>(١)</sup>.

### الأمر الثالث: الفرق بين تمتع المؤمن وتمتع الكافر:

إن الفارق الرئيسي بين الإنسان والحيوان: أن للإنسان إرادة وهدفاً وتصوراً خاصاً للحياة يقوم على أصولها الصحيحة المتلقاة من الله خالق الحياة.. فإذا

ص ٨٩)، في ظلال القرآن (ج ٦ / ص ٣٢٩٠) تيسير الكريم الرحمن (ص ١١٠٧).

(١) انظر: في ظلال القرآن (ج ٦ / ص ٣٢٩٠).

فقد هذا كله؛ فقد أهم خصائص الإنسان المميزة لجنسه، وأهم المزايا التي من أجلها كرمه الله<sup>(١)</sup>.

وقد استشهد الحافظ ابن كثير رحمه الله لمعنى الآية بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: أطبق العلماء على حمل الحديث على غير ظاهره. ا.هـ.

والسبب في ذلك حديث عمرو بن دينار قال: كان أبو نَهِيك<sup>(٢)</sup> رجلاً أكولاً، فقال له ابن عمر رضي الله عنهما: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء»، فقال أبو نَهِيك رضي الله عنه: فأنا أو من بالله ورسوله<sup>(٣)</sup>.

وإذا عرفنا سبب قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ظهر لنا معنى الحديث، وارتباطه بالآية الكريمة: ﴿... وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى فِيهِمْ ۖ﴾ [محمد: ١٢].

ففي صحيح الإمام مسلم<sup>(٤)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضافه ضيف - وهو كافر - فأمر له رسول الله صلى الله

(١) انظر: في ظلال القرآن (ج ٦ / ص ٣٢٩٠).

(٢) صحابي أنصاري من بني عبد الأشهل، قال ابن عبد البر: لا أعرف له خبراً ولا رواية إلا - ثم ذكر له قصة -، وذكره ابن حجر، انظر الإصابة (ج ٤ / ص ١٩٩)، والاستيعاب (ج ٤ / ص ١٩٧).

(٣) فتح الباري (ج ٩ / ص ٥٣٧)، والحديث في صحيح البخاري كتاب الأطعمة (ح ٥٣٩٣)، صحيح مسلم كتاب الأشربة (ح ٢٠٦٠).

(٤) كتاب الأشربة (ح ٢٠٦٣).

عليه و سلم بشاةٍ فحُلبت، فشرب حِلابها، ثم أخرى فشربه، ثم أخرى فشربه، حتى شرب حِلاب سبع شياه.

ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول الله صلى الله عليه و سلم بشاة فشرب حِلابها، ثم أمر بأخرى فلم يستتمها !! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن يشرب في مَعَى واحد، والكافر يشرب في سبعة أمعاء».

وذكر الحافظ ابن حجر أن هذا تكرر مع أكثر من رجل، ومن ضمن ما وجّه به الحديث: أن المؤمن يقل حرصه على الطعام؛ فيبارك له فيه وفي مأكله، فيشبع من القليل.. والكافر طامح البصر إلى المأكّل -كالأنعام- فلا يشبعه القليل؛ فمن شأن المؤمن التقلل من الأكل:

- لا اشتغاله بأسباب العبادة.

- ولعلمه بأن مقصود الشرع من الأكل ما يسد الجوع، ويمسك الرمق، ويعين على العبادة.

- ولخشيتَه -أيضا- من حساب ما زاد على ذلك.

والكافر بخلاف ذلك كله: فإنه لا يقف مع مقصود الشرع، بل هو تابع لشهوة نفسه، مسترسل فيها، غير خائف من تبعات الحرام؛ فصار أكل المؤمن إذا نُسب إلى أكل الكافر كأنه بقدر السُّبع منه<sup>(١)</sup>.

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في آخر حديث طويل: «وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعَمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أُعْطِيَ مِنْهُ

(١) انظر: فتح الباري (ج ٩ / ص ٥٣٨ - ٥٤٠).

الْمُسْكِينِ وَالْيَتِيمِ وَابْنِ السَّبِيلِ<sup>(١)</sup> وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ  
وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(٢)</sup>.

وإذا أردنا أن ندخل في شيء من التفصيل في الحديث عن الفرح بمخالفة  
أمر الله عز وجل -الفرح الممقوت المذموم- فإننا سنجد منه صوراً كثيرة في  
القرآن، ومن هذه الصور ما يأتي في المباحث التالية<sup>(٣)</sup>:

(١) وفي رواية لمسلم: «فمن يأخذ مالا بحقه يبارك له فيه».

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة (ح ١٤٦٥)، صحيح مسلم، كتاب الزكاة (ح ١٠٥٢).

(٣) الحديث في هذا الفصل عن الفرح بما يذم لذاته، أما ما يذم لما يتعلق به من صفات مذمومة فسيذكر إن شاء الله في الفصل الرابع.





## المبحث الثاني

### الفرح بالكفر - عياداً بالله -

من صور الفرح المذموم: الفرح بالكفر، وهو أشنعها وأقبحها، وليس بعده لؤم ونكران لجميل نعم الله وفضله سبحانه وتعالى.. ويمكن توضيح هذه الصورة الشنيعة للفرح بالكفر من خلال المطالب الآتية:

#### المطلب الأول: تعريف الكفر:

الكفر في اللغة: السَّتر والتغطية، ولهذا فإن الكافر يطلق على الليل؛ لأنه يستر بظلمته كل شيء، وعلى البحر؛ لستره ما فيه، وعلى الزارع؛ لستره البذر بالتراب<sup>(١)</sup>.

وهو في الاصطلاح: نقيض الإيمان، وهو ستر نعمة المنعم - سبحانه - بالجحود، أو بعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم<sup>(٢)</sup>.

#### المطلب الثاني: الدافع على الفرح بالكفر:

قال الله عز وجل: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]، قال قتادة: أي من أتى الكفر على اختيار واستحباب.

(١) انظر: لسان العرب (ج ١٣ / ص ٨٥ - ٨٦) القاموس المحيط (ص ٦٠٥).

(٢) انظر: لسان العرب (ج ١٣ / ص ٨٤)، القاموس المحيط (ص ٦٠٥) معجم التعريفات (ص ١٥٥)،

التكفير وضوابطه. إبراهيم الرحيلي (ص ٥٦ - ٥٧).

والدافع لهم على الفرح بكفرهم بينته الآية التي تليها: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ  
أَسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾  
[النحل: ١٠٧].

فحلّ بهؤلاء المشركين غضب الله، ووجب لهم العذاب العظيم؛  
من أجل أنهم اختاروا زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة، طمعا في شيء  
من حطام الدنيا، ورغبة فيه، وزهدا في خير الآخرة.  
ولأنهم يجحدون آيات الله؛ والله لا يوفق الجاحدين الكافرين<sup>(١)</sup>.

فلما اختاروا الكفر على الإيمان منعهم الله الهداية، فلم يهدهم؛ لأن الكفر  
وصفهم، فطبع على قلوبهم فلا يدخلها خير، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا  
ينفذ منها ما ينفعهم ويصل إلى قلوبهم. فشملتهم الغفلة وأحاط بهم الخذلان،  
وحرموا رحمة الله التي وسعت كل شيء؛ وذلك أنها أتهم فردوها، وعُرضت  
عليهم فلم يقبلوها، ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ٢٢].

يقول الطاهر بن عاشور رحمه الله: ﴿أَسْتَحَبُّوا﴾ مبالغة في (أحبوا) مثل:  
استأخر واستكان.. وضمّن ﴿أَسْتَحَبُّوا﴾ معنى (فضّلوا) بحرف ﴿على﴾،  
أي: لأنهم قدّموا نفع الدنيا على نفع الآخرة؛ لأنهم قد استقر في قلوبهم أحقية  
الإسلام؛ وما رجعوا عنه إلا خوف الفتنة أو رغبة في رفاهية العيش، فيكون

(١) انظر: جامع البيان (ج ١٤ / ص ٢١٦)، معالم التنزيل (ج ٣، ص ٩٨، ٩٩)، المحرر الوجيز (ج ٥ / ص ٤١٥)، الجامع لأحكام القرآن (ج ١٠ / ص ١٧٠)، تفسير القرآن العظيم (ج ٣ / ص ١٣١٣)،  
التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٢ / ص ٣٠٦)، تفسير الجلالين (ص ٢٧٩)، جامع البيان للإيجي (ص ٥١٨)،  
في ظلال القرآن (ج ٤ / ص ٢١٩٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٦١٩).

كفرهم أشد من كفر المستصحين للكفر من قبل البعثة. ا.هـ<sup>(١)</sup>.  
 ذلك أن العقيدة -كما يقول سيد- لا يجوز أن تكون موضع مساومة  
 وحساب للربح والخسارة.. ومتى آمن القلب بالله فلا يجوز أن يدخل عليه مؤثر  
 من مؤثرات هذه الأرض؛ فللأرض حساب، وللعقيدة حساب، ولا يتداخلان.  
 وليست العقيدة هزلاً، وليست صفقة قابلة للأخذ والرد، فهي أعلى من هذا  
 وأعز. ومن ثم كل هذا التخليط في العقوبة، والتفطيع للجريمة<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثالث: من آثار الفرح بالكفر:

#### أولاً: الاشتمزاز عند ذكر التوحيد:

فهم يفرحون بشركهم، وتنقبض نفوسهم عند ذكر الإيمان والتوحيد، قال  
 الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
 وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

قال الزمخشري رحمه الله تعالى: ولقد تقابل الاستبشار والاشتمزاز؛ إذ  
 كل واحد منهما غاية في بابه، فالاستبشار: أن يمتلىء قلبه سروراً حتى تنبسط له  
 بشرة وجهه ويتهلل.. والاشتمزاز: أن يمتلىء غماً وغيظاً حتى يظهر الانقباض  
 في أديم وجهه.

والدافع لهذا الاستبشار هو كون الشرك موافقاً لأهوائهم، فنسوا حق الله إلى  
 هواهم فيها. وهذه الحال شر الحالات وأشنعها، كما قال السعدي رحمه الله.  
 والآية -كما يقول صاحب الظلال- تصف واقعة حال على عهد النبي

(١) التحرير والتنوير (ج ١٤ / ص ٢٩٢ - ٢٩٥).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (ج ٤ / ص ٢١٩٦).

صلى الله عليه وسلم حين كان المشركون يهشون وييشون إذا ذكرت آلهتهم، وينقبضون وينفرون إذا ذكرت كلمة التوحيد.. ولكنها تصف حالة نفسية تتكرر في شتى البيئات والأزمان، فمن الناس من تشمئز قلوبهم وتنقبض نفوسهم كلما دُعوا:

١- إلى الله وحده إلهاً.

٢- وإلى شريعة الله وحدها قانوناً.

٣- وإلى منهج الله وحده نظاماً.

حتى إذا ذكرت المناهج الأرضية، والنظم الأرضية، والشرائع الأرضية؛ هُشُوا وبشُوا ورحبوا بالحديث، وفتحوا صدورهم للأخذ والرد.

والجواب على هذا المسخ والانحراف والضلال هو ما لقنه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في مواجهة مثل هذه الحال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٦٤] (٣).

ثانياً: الرضا بمذاهبه الباطلة:

وأثره الخطير هو التماذي في الغي والباطل، وعدم الرجوع إلى الحق والصواب؛ لأن معيار التمييز بين النافع والضار مفقود، ولذلك فهم يفرحون بمذاهبهم الباطلة التي اخترعوها، واستبدلوها بشرع الله، والله سبحانه وتعالى يحث أوليائه من هذه الأمة المباركة على الإنابة إليه والاعتصام بحبله سبحانه،

(٣) انظر: الكشف (ج ٤ / ص ١٠٢)، مدارك التنزيل (ص ١٠٤٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص ١٠١٨)، في ظلال القرآن (ج ٥ / ص ٣٠٥٥).

ويحذرهم من مسلك الأمم السابقة فيقول سبحانه وتعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿[الروم: ٣١-٣٢].

فذكر حالة المشركين مُهَجَّنًا لها ومُقَبِّحًا، فقال: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ مع أن الدين واحد، وهو: إخلاص العبادة لله وحده. وهؤلاء المشركون فرقوه:

- ١- منهم من يعبد الأوثان والأصنام.
- ٢- ومنهم من يعبد الشمس والقمر.
- ٣- ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين.
- ٤- ومنهم يهود.
- ٥- ومنهم نصارى<sup>(١)</sup>.
- ٦- ومنهم أهل البدع من هذه الأمة، كما عزاه ابن عطية والقرطبي لعائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما. غير أن ابن جُرَيِّ رحمه الله استبعد هذا القول بسبب قوله تعالى ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

كل حزب<sup>(٢)</sup> وطائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا<sup>(٣)</sup> دينهم الحق، فأحدثوا البدع التي أحدثوا ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ من العلوم المخالفة لعلوم الرسل ﴿فَرِحُونَ﴾ راضون بما عندهم، يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم.. فهم مفتونون

(١) واختار الطبري والبغوي أنهم اليهود والنصارى.

(٢) والحزب: الجماعة الذين رأيهم ونزعتهم واحدة، والشيع: جمع شيعه، وهي الجماعة التي تشايح -أي توافق- رأيا. انظر: التحرير والتنوير (ج ٢١ / ص ٩٦).

(٣) فارقوا: على قراءة حمزة والكسائي، انظر: الجامع لأحكام القرآن (ج ١٤ / ص ٣٢).

بآرائهم، معجبون بضلالهم، وذلك أصيل فيهم؛ لأنهم لم يتبينوا الحق، وعليهم أن يتبينوه.

ولهذا قال: ﴿وَكَاْنُوا شِيْعًا﴾ أي: كل فرقة من فرق الشرك تألفت وتعصبت على نصر ما معها من الباطل ومنازدة غيرهم ومحاربتهم.

وهذه حالة ذميمة من أحوال أهل الشرك، وفي هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقا، كل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل، فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفرق. بل الدين واحد، والرسول واحد، والإله واحد.

و يوجه الطاهر بن عاشور رحمه الله المسلمين -منطلقا من هذه الآية الكريمة- إلى أنهم إذا اختلفوا في أمور الدين الاختلاف الذي يقتضيه اختلاف الاجتهاد، أو اختلفوا في الآراء والسياسات لاختلاف العوائد؛ فليحذروا أن يجرحهم ذلك الاختلاف إلى أن يكونوا شيعا متعادين متفرقين يلعن بعضهم بعضا، ويذيق بعضهم بأس بعض<sup>(١)</sup>.

ومثله قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]. أمرهم الله بلزوم دينه، فتفرقوا دينهم بينهم كتباً وضعوها، وضلالات ألفوها، كُلُّ حِزْبٍ بما اختاروه لأنفسهم من الدين والكتب، فرحون معجبون به، لا يرون أن الحق سواه.

(١) انظر: جامع البيان (ج ٢١ / ص ٥١)، معالم التنزيل (ج ٣ / ص ٥٧٨)، المحرر الوجيز (ج ٧ / ص ٢٥)، الجامع لأحكام القرآن (ج ١٤ / ص ٣٢)، تفسير القرآن العظيم (ج ٣ / ص ١٧٩٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٣ / ص ٢٢٥)، تفسير الجلالين (ص ٤٠٧)، جامع البيان للإيجي (ص ٧٣٢)، التحرير والتنوير (ج ٢١ / ص ٩٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٩٧ - ٨٩٨).

«ويُخرج التعبير القرآني المبدع هذا التنازع في صورة حسية عنيفة: لقد تنازعوا الأمر حتى مزقوه بينهم مزقاً، وقطعوه في أيديهم قطعاً. ثم مضى كل حزب بالمزقة التي خرجت في يده! مضى فرحاً لا يفكر في شيء، ولا يلتفت إلى شيء!!»

مضى وأغلق على حسه جميع المنافذ التي تأتيه منها أية نسمة طليقة، أو يدخل منها أي شعاع مضيء! وعاش الجميع في هذه الغمرة مذهولين مشغولين بما هم فيه، مغمورين لا تنفذ إليهم نسمة محيية ولا شعاع منير» قاله سيد.

فالدافع لهم -إذن- على ذلك الفرح: ظنهم بأنهم مهتدون، وهذا غاية الضلال؛ لأن المرتاب بما عنده ينظر إلى طلب الحق، والمعنى أنهم فرحون بدينهم على غير دليل ولا تبصر، بل لمجرد العكوف على المعتاد، فهم لا يرضون على من يخالفهم ويعادونه، وذلك يفضي إلى التفرق والتخاذل بين الأمة الواحدة، وهو خلاف مراد الله، ولذلك ذيل به قوله: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وقال مهدياً لهم ومتوعداً: ﴿فَذَرَّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ﴾ أي: في غيهم وضلالهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى حين حينهم وهلاكهم، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْلُكُمْ رَوْبًا﴾ [الطارق: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٣]<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: جامع البيان (ج ١٨، ص ٣٨-٣٩)، معالم التنزيل (ج ٣، ص ٣٦٧)، المحرر الوجيز (ج ٦/ ص ٣٠١)، الجامع لأحكام القرآن (ج ١٢/ ص ١١٨)، تفسير القرآن العظيم (ج ٣/ ص ١٥٩٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٣/ ص ٩٨)، تفسير الجلالين (ص ٣٤٥)، جامع البيان للإيجي (ص ٦٣٥)، التحرير والتنوير (ج ١٨/ ص ٧٣)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٧٦٨)، في ظلال القرآن (ج ٤/ ص ٢٤٧١).



### ثالثاً: السعي في أن يكفر المسلمون:

فهؤلاء الكافرون لا يكتفون بكفرهم، حتى يكونوا أعوانا للشيطان في الفرح بمن يكفر مثلهم، والسعي في ذلك، خاصة من أهل الكتاب، قال الله عز وجل: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ [البقرة: ١٠٩].

والآية الكريمة تذكر الدافع لهم على تمني كفر المسلمين، ويمكن أن نلاحظ ذلك في حسدهم لما عليه المسلمون من الهداية والنور، وأن أنفسهم الخبيثة هي التي حملتهم على تمني أن يكفر المسلمون، ولهذا «يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طرائق الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم»<sup>(١)</sup>.

وهم يودون ذلك لدرجة أن طلب رضاهم لا يمكن إلا بأن يرتد المسلم عن دينه ويتبع كفرهم، قال عز وجل: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ ۚ قُلْ إِن هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِن أُتْبِعَتْ أَهْوَاءُ هُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝﴾ [البقرة: ١٢٠].

فكانت طاعة المسلمين لأهل الكتاب غفلة عن عدو قد حذر الله منه،

(١) انظر: معالم التنزيل (ج ١/ ص ١٥٥)، المحرر الوجيز (ج ١/ ص ٣١٩-٣٢٠)، الجامع لأحكام القرآن (ج ٢/ ص ٦٩)، تفسير القرآن العظيم (ج ١/ ص ١٨١)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ١/ ص ١٤٤)، تفسير الجلالين (ص ١٧)، جامع البيان للإيجي (ص ٦٤)، التحرير والتنوير (ج ١/ ص ٦٧٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٠).

وحرماناً من ولاية الله وحياطته ونصره ومعونته.. فدع أيها المسلم طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله سبحانه وتعالى<sup>(١)</sup>.

ولا يخفى أن هذه الرغبة الشريرة في ردة المسلمين هي مهمة الشيطان التي نذر حياتها لها، وطلب من الله أن يُنظره في الدنيا لأجلها ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعَرْنِكَ لَا غُورَ لَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخَاصِيكَ ﴿٨٣﴾ [ص: ٧٩-٨٣].

ثم استعمل لتنفيذها جنوداً من الكفار المعلنين بالكفر، كاليهود والنصارى، أو المبطنين الكفر، كالمنافقين.

#### رابعاً: الاستهزاء بالمسلمين:

فهم يتتهزون أدنى فرصة للاستهزاء بهم والضحك منهم ومن منهجهم، إنهم يضحكون على المسلمين بمجرد تمسكهم بدينهم؛ استخفافاً بالحق الذي هداهم الله إليه، فكيف إذا أصابت المسلمين مصيبة؟!

يقول الله عز وجل ذاكراً يوم القيامة حين يتوسل إليه الكفار والمنافقون بأن يغفر لهم: ﴿ قَالَ أَخْسِرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُوا رَبَّنَا آمَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَأَتَّخَذَتْهُمْ سَخِرًا حَتَّى أَنْسَوُكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ [المؤمنون: ١٠٨-١١٠].

أي: أنكم سخرتم منهم في دعائهم إياي وتضرعهم إليّ، حَتَّى حَمَلَكُمْ بَغْضَهُمْ

(١) انظر: معالم التنزيل (ج ١ / ص ١٦١)، المحرر الوجيز (ج ١ / ص ٣٣٦ - ٣٣٧)، الجامع لأحكام القرآن (ج ٢ / ص ٩١)، تفسير القرآن العظيم (ج ١ / ص ١٩٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ١ / ص ١٤٩)، تفسير الجلالين (ص ١٩)، جامع البيان لمعين الدين الإيجي (ص ٦٧)، التحرير والتنوير (ج ١ / ص ٦٩٣)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٤).

على أن نسيتم معاملتي، فتعدى شؤم استهزائهم بالمؤمنين إلى استيلاء الكفر على قلوبهم، وكُنتُم من صنيعهم وعبادتهم تضحكون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ [المطففين: ٢٩-٣٠].

وكان لهذا الاستهزاء بالمؤمنين أثر خطير على مصير أولئك المجرمين، إنه أنساهم ذكر الله والمصير المحتوم الذي يصيرون إليه.

والسعدي رحمه الله يرى أن الاستهزاء دافع وأثر، فيقول: وهذا الذي أوجب لهم نسيان الذكر، اشتغالهم بالاستهزاء بهم، كما أن نسيانهم للذكر، يحثهم على الاستهزاء، فكل من الأمرين يمد الآخر، فهل فوق هذه الجراءة جراءة؟! (١).

فخلاصة هذا المبحث: أن الفرح بالكفر الذي هو نقيض الإيمان، وهو ستر نعمة المنعم - سبحانه - بالجحود، أو بعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم: هو أشنع أنواع الفرح المذموم، وأن الدافع له هو إثارة الآخرة على الدنيا، وأن له آثاراً خطيرة، منها الاشتزاز عند ذكر التوحيد، والرضا بمذاهب الكفر الباطلة، و السعي في أن يكفر المسلمون. أعاذنا الله من الكفر والكافرين.

(١) انظر: معالم التنزيل (ج ٣/ ص ٣٧٧)، المحرر الوجيز (ج ٦/ ص ٣٢٤)، الجامع لأحكام القرآن (ج ١٢/ ص ١٣٩)، تفسير القرآن العظيم (ج ٣/ ص ١٦٠٨)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٣/ ص ١٠٧)، تفسير الجلالين (ص ٣٤٩)، جامع البيان للإيجي (ص ٦٤١)، التحرير والتنوير (ج ١٨/ ص ١٢٩)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٧٧٧).

## المبحث الثالث

### الفرح بالنفاق

#### المطلب الأول: تعريف النفاق:

النفاق في اللغة: مأخوذ من النَفَق، وهو سَرَب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر.. أو من النافقاء، وهو إحدى جِحرَة اليربوع، يكتمها ويُظهر غيرها، فإذا أُتِيَ من قبل الموضع الظاهر - وهو القاصعاء - ضرب النافقاء برأسه.

فيقال: هكذا يفعل المنافق: يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه.

وفي الاصطلاح: النفاق اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص له، وهو ستر الكفر وكتمانه بالقلب، وإظهار الإيمان باللسان<sup>(١)</sup>.

#### المطلب الثاني: من صور الفرح بالنفاق:

الفرح بالنفاق يظهر في الفرح بأعمال واعتقادات تصدر من المنافقين، ومن صورته هذان المثالان:

#### المثال الأول:

الفرح بالتخلف عن مناصرة الحق، ومواجهة أهل الباطل، وهو فرح المنافق بما يظنه حذقاً وذكاءً حين يُظهر خلاف ما يُبطن، ويرى أنه استطاع أن يخدع

(١) انظر: لسان العرب (ج ١٤ / ص ٣٢٦ - ٣٢٧)، القاموس المحيط (ص ١١٩٦)، معجم التعريفات (ص ٢٠٦).

المسلمين، ويخادع الله !! وإنما يخدع نفسه ويوردها المهالك.

وهذا ما يؤكد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

والمقصود بهم -على أحد قولَي المفسرين- قومٌ من أهل النفاق كانوا يقعدون خلافَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا غزا العدو، وفرحوا بمقعدهم ذلك، فإذا انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعتذروا إليه، ويفرحون بذلك، ويرون أنها حيلة احتالوا بها. وأحبوا أن يُحمدوا بما لم يفعلوا. قاله أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وابن زيد وغيرهما<sup>(١)</sup>.

### المثال الثاني:

هو القول الثاني في معنى الآية السابقة، قال ابن كثير: يعني بذلك المرأين المتكثرين بما لم يُعطوا، كما جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «... من ادَّعى دَعْوَى كاذبة لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا قِلَّةً»<sup>(٢)</sup> وفي الصحيح: «المتشبع بما لم يُعطَ كلابس ثُوبَي زُور»<sup>(٣)</sup>.

فهؤلاء جمعوا بين:

(١) حديث أبي سعيد في صحيح البخاري في التفسير (ح ٤٥٦٧)، ومسلم في صفات المنافقين (ح ٢٧٧٧)، وانظر: جامع البيان (ج ٤، ص ٨٧)، معالم التنزيل (ج ١، ص ٥٥٣)، المحرر الوجيز (ج ٢ / ص ٤٤١)، تفسير القرآن العظيم (ج ١، ص ٤٨٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، (ح ١١٠) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه، ولم أجده في البخاري.

(٣) رواه البخاري في كتاب النكاح (ح ٥٢١٩)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة (ح ٢١٢٩) من حديث أسماء رضي الله عنها.

- فعل الشر وقوله.
- والفرح بذلك.
- ومحبة أن يحمدا على فعل الخير الذي ما فعلوه.. إنه نموذج من نماذج البشرية يقتات الجبن والادعاء<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث: من آثار الفرح بالنفاق:

للفرح بالنفاق آثار سلبية وسيئة، يذكر القرآن منها:

#### أولاً: الحرص على كفر المسلمين:

وهذا الأثر ظاهر في تصرفاتهم التي فضحها قول الله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَنْخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۖ﴾ [النساء: ٨٩].

فهم يودون للمسلمين الضلالة ليستوا هم وإياهم في الكفر والنفاق؛ وما ذاك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم للمسلمين، وهذا كشف من الله لخبت معتقدتهم، وتحذير للمسلمين من الاغترار بهم فكأن الآية تقول: وأنتم ترجون هدايتهم، وهم يرجون ضلالكم!! فقد تباعدتم في المذاهب، وتبايتم في المقاصد.

إنهم -كما قال سيد- قد كفروا وهم لا يريدون أن يقفوا عند هذا الحد، فالذي يكفر لا يستريح لوجود الإيمان في الأرض ووجود المؤمنين، ولا بد له من عمل وسعي، ولا بد له من جهد وكيد لرد المسلمين إلى الكفر؛ ليكونوا كلهم

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (ج ١ / ص ٤٨٨)، تفسير الكريم الرحمن (ص ١٩٦)، في ظلال القرآن (ج ١ / ص ٥٤٢).

سواء.

والقرآن يلمس مشاعر المؤمنين لمسة قوية مفزعة لهم، وهو يقول لهم: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾<sup>(١)</sup>، والصحابة بالذات كانوا حديثي عهد بتذوق حلاوة الإيمان بعد مرارة الكفر، وبالنقلة الضخمة التي يجدونها في أنفسهم، بين مشاعرهم ومستواهم ومجتمعهم في الجاهلية، ثم في الإسلام.

ومن ثم يتكئ المنهج القرآني على هذه الحقيقة، فيوجه إليهم الأمر في لحظة التوفز والتحفز والانتباه للخطر البشع الفظيع الذي يتهددهم من قبل هؤلاء: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: الفرح بمصائب المسلمين:

فإنه لا يتصور أن يفرح بمصائب المسلمين إلا عدوهم، وأعداؤنا في الخارج هم الكفار المعلنون بالكفر، وفي الداخل المنافقون الذين ينخرون في جسد هذه الأمة، ويعينون أعداءها عليها، ويفرحون بما يصيبها من شر.

\* قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

قال قتادة: فإذا رأوا من أهل الإسلام ألفة وجماعة وظهوراً على عدوهم؛ غاظهم ذلك وساءهم، وإذا رأوا من أهل الإسلام فرقة واختلافاً، أو أصيب طرف

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (ج ١، ص ٥٩٧)، جامع البيان للإيجي (ص ٢٠٨)، في ظلال القرآن (ج ٢/ ص ٧٣٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٢٣٩).

من أطراف المسلمين؛ سرَّهم ذلك وأعجبوا به وابتهجوا به.

وقال الربيع: هم المنافقون.. ويرجح ابن عطية أنهم منافقو اليهود، ونسبه القرطبي للأكثر.

وانظر كيف أظهر الله تعالى شدة عداوتهم وحسدهم للمسلمين في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّسَكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَإِنْ تُصَبِّكُمْ﴾، يقول الإمام ابن عطية رحمه الله:

«وذكر تعالى المسَّ في الحسنة؛ ليبين أن بأدنى طروء الحسنة تقع المساءة بنفوس هؤلاء المبغضين، ثم عادل ذلك بالسيئة بلفظ الإصابة، وهي عبارة عن التمكن؛ لأن الشيء المصيب لشيء فهو متمكن منه أو فيه.. فدلَّ هذا المنزع البليغ على شدة العداوة؛ إذ هو حقد لا يذهب عند الشدائد، بل يفرحون بنزول الشدائد بالمؤمنين، وهكذا في عداوة الحسد في الأغلب، ولا سيما في مثل هذا الأمر الجسيم (من الجهاد<sup>(١)</sup>) الذي هو ملاك الدنيا والآخرة، وقد قال الشاعر:

كل العداوة قد ترجى إزالتها  
إلا عداوة من عاداك من حسد<sup>(٢)</sup>

فهي العداوة الشديدة -إذن- تحملهم على تحين نازلة تنزل بالمسلمين حتى يتندروا بهم ويفرحوا بمصائبهم.

\* ولإفساد فرحهم علمنا الله ما نقول لهم وما نكنه في صدورنا، قال الله

(١) زيادة من الجامع لأحكام القرآن (ج ٤ / ص ١٧٩)

(٢) انظر: جامع البيان (ج ٤ / ص ٨٨)، المحرر الوجيز (ج ٢ / ص ٣٣٤ - ٣٣٥)، الجامع لأحكام القرآن

(ج ٤ / ص ١٧٨ - ١٧٩)، تفسير القرآن العظيم (ج ١ / ص ٤٤٧)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ١ /

ص ٢٦٩)، تفسير الجلالين (ص ٦٥)، جامع البيان للإيجي (ص ١٥٩)، التحرير والتنوير (ج ٤ /

ص ٦٨)، تيسير الكريم الرحمن (ص ١٧٤).



تعالى: ﴿إِنْ تُصِْبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِْبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذَنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة: ٥٠]. مسرورون بما نالك من الهزيمة.

فأمر الله نبيه أن يرد على المنافقين ويفسد عليهم فرحهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].. فيعلمهم أن الشيء الذي يعتقدونه مصيبة ليس كما اعتقدوه، بل الجميع مما قد كتبه الله عز وجل للمؤمنين:

- فإما أن يكون ظفرا وسرورا في الدنيا

- وإما أن نُقتل فتكون الشهادة ذخرا للآخرة.

فيثبت المسلمون -بتلقين الله إياهم -عدم اكتراثهم بالمصيبة، وانتفاء حزنهم عليها؛ لأنهم يعلمون أن ما أصابهم ما كان إلا بتقدير الله لمصلحة المسلمين في ذلك، فهو نفع محض كما تدل عليه تعديّة فعل (كتب) باللام المؤذنة بأنه كتب ذلك لنفعهم.

يقول الطاهر بن عاشور: إن موقع هذا الجواب هو أن العدو يفرح بمصائب عدوه؛ لأنه ينكد عدوه ويحزنه، فإذا علموا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يحزن لما أصابه؛ زال فرحهم<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: معالم التنزيل (ج٢/ ص ٣٥٦)، المحرر الوجيز (ج٤/ ص ٣٢٩)، الجامع لأحكام القرآن (ج٨/ ص ١٤٤ - ١٤٥)، تفسير القرآن العظيم (ج٢/ ص ١٠٦٨)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٢/ ص ١٤٦)، تفسير الجلالين (ص ١٩٥)، جامع البيان للإيجي (ص ٣٨٣)، التحرير والتنوير (ج ١٠/ ص ٢٢٢)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٥٨).

### تعوّذ المسلم من شماتة الأعداء:

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم «يتعوّذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء».

وشماتة الأعداء هي فرح العدو ببلية تنزل بعدوه.. وقد ذكر الحافظ أن شماتة الأعداء تدخل في عموم كل واحدة من الثلاثة، ثم كل واحدة من الثلاثة مستقلة؛ فإن كل أمر يكره يلاحظ فيه:

- جهة المبدأ: وهو سوء القضاء.

- وجهة المعاد: وهو درك الشقاء؛ لأن شقاء الآخرة هو الشقاء الحقيقي.

- وجهة المعاش: وهو جهد البلاء.

وأما شماتة الأعداء فتقع لكل من وقع له كل من الخصال الثلاثة. ١. هـ. (١)

### المطلب الرابع: سمات المنافق عند علماء النفس:

يرى علماء النفس أن لشخصية المنافق سمات يعرف بها، وعلامات تدل عليه: فلشخصية المنافق دوافع تنطلق منها، ولا بد أنها كُبتت عن أمر كانت تريده؛ فاتجهت لإبطان ما لا تظهره وتحين الفرص للنيل من أعدائها، أو بالأصح: من اختارت عداوتهم ولم يختاروا هم ذلك.

ويشخص الدكتور أحمد عزت راجح بعض هذه السمات بقوله: لا تصبح الدوافع والصدمات الانفعالية المكبوتة عديمة الأثر في الحياة النفسية من جراء

(١) الحديث في البخاري، كتاب الدعوات (ج ٦٣٤٧)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء (ج ٢٧٠٧)، وانظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (ج ١٧/ ص ٣١)، فتح الباري (ج ١١/ ص ١٤٩)، الشخصية، د/ سعد رياض (ص ١٠٧).

كبتها، بل تظل في حالة استعداد لا شعوري، مكونة ما يعرف بالعقد النفسية، تواصل ضغطها وتلح جاهدة في الظهور والتعبير عن نفسها على الدوام. والعقدة: مجموعة مركبة من:

\* ذكريات.

\* أو رغبات.

\* أو عواطف وأحداث مكبوتة مشحونة بشحنة انفعالية قوية من:

- الذعر.

- أو الغضب.

- أو الاشمئزاز.

- أو الغيرة.

- أو الإحساس الخفي بالذنب.

والعقدة: استعداد مكبوت يقسر الفرد على ضروب شاذة من السلوك الظاهر والشعور والتفكير نحو شخص، أو شيء، أو موقف، أو فكرة.. ويتسم السلوك الصادر عنها بما يتسم به السلوك الصادر عن الدوافع المكبوتة. ويقرر كذلك أن: المشاهد المعروف أننا ننفلح حين تعاق دوافعنا، أي يعطل السلوك الصادر عنها عن بلوغ هدفه<sup>(١)</sup>.

ويوضح الدكتور سعد رياض - وهو يعدد أنواع الشخصيات وكيفية التعامل مع كل نوع منها- الشخصية المضادة للمجتمع (الشخص السيكوباتي)<sup>(٢)</sup>: أي

(١) أصول علم النفس (ص ١٤٦-١٥٥).

(٢) من التعريفات الشائعة أن: السيكوباتية حالة مرضية تظهر بشكل سلوك اندفاعي متهور ومتكرر

صاحب الشخصية التي تُظهر غير ما تبطن، وهي - كذلك - الشخصية المضادة للمجتمع، أي التي تقوم بأعمال منافية لقيم المجتمع الصحيح. وفيما يلي أهم خصائص الشخصية المنافقة:

- أقل ما يقال عنه: إنه مجرم.
- لا يوجد لديه ضمير.
- يتعدى تعديا صارخا على القانون والأخلاق.
- وهو صاحب مصلحة، لذا فهو ينسف بمن يشاركه في تجارة أو في غيرها، بل حتى من يحسن إليه.
- وهو متهور في أغلب تصرفاته.
- وهو مراوغ وكذاب وانتهازي.
- و خلاصته أنه يتعامل مع كل أفراد المجتمع على أنهم أعداؤه<sup>(١)</sup>.
- وفئة من الناس تحمل هذه الصفات التدميرية؛ حَرِيَّة بأن يُكثر القرآن الكريم من ذكرها وفضح ألاعيبها وتحذير المسلمين منها.

**والخلاصة:** أن الفرح بالنفاق -الذي هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر- هو فرح المنافق بخداعه ومراوغته للمسلمين بنفس دافع الكفار لكفرهم، ألا وهو إثارة الدنيا على الآخرة، وأن من آثار ذلك حرص المنافقين على ارتداد المسلمين عن دينهم ليستولوا معهم في الضلال، وأن هذه الشخصية أقرب شيء

---

يستهدفه المجتمع أو يعاقب عليه، دون أن يكون لذلك علاقة بالضعف العقلي أو بمرض عصابي أو ذهاني أو بحالة صرع أو بمرض عصبي. (الشخصية السيكوباتية، إعداد الأستاذة / أ. علي راجح بركات (ص ٥٥)).

(١) الشخصية، أنواعها، أمراضها، وفن التعامل معها، د/ سعد رياض (ص ١١٥ - ١١٦).

إليها مما ذكره علماء النفس هي الشخصية السيكوباتية، وأن في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر لكثير من صفاتهم، وتحذير للمسلمين من أمرين:

الأول: من مكر المنافقين

والثاني: من الاتصاف بصفاتهم.

## المبحث الرابع

### الفرح بالمعصية

ومن أنواع الفرح المذموم: الفرح بمعصية الله سبحانه وتعالى .. و السؤال الذي يرد في أول هذا المبحث: هل يفرح مؤمن بمعصية الله؟ والجواب في المطالب الآتية:

#### المطلب الأول: أثر المعصية على نفس المؤمن:

إن المؤمن ليس معصوماً من الوقوع في المعصية، غير أنه لا يهدأ له بال حين يعصي ربه؛ ذلك لأنه يخاف لقاء الله، ويحمل هم الموقف العظيم بين يديه عز وجل، وقد سبق أن أوردنا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد سأله رجل: ما الإيمان؟ قال: «إذا سرتك حسنتك، وساءتك سيئتك؛ فإنك مؤمن»<sup>(١)</sup>.

فالمؤمن يحب الطاعة بما جعل الله في قلبه من حبها، ويكره المعصية بما جعل في قلبه من كرهها، قال الله سبحانه وتعالى ﴿... وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ فجعله أحب الأديان إليكم، وحسنه ﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾ حتى اخترتموه، وتطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) مسند الإمام أحمد (ج ٥ / ص ٢٥٢) والمستدرک علی الصحیحین (ج ١ / ص ١٣) من حدیث أبي أمامة رضي الله عنه، وصححه، ووافقه الذهبي.

- قال السعدي: والله تعالى يحب إليكم الإيمان، ويزينه في قلوبكم:
- بما أودع الله في قلوبكم من محبة الحق وإيثاره.
  - وبما ينصب على الحق من الشواهد، والأدلة الدالة على صحته، وقبول القلوب والفطر له.
  - وبما يفعله تعالى بكم، من توفيقه للإجابة إليه.
  - ويكره إليكم الكفر والفسوق، أي: الذنوب الكبار، والعصيان: هي ما دون ذلك من الذنوب:
  - بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر، وعدم إرادة فعله.
  - وبما نصبه من الأدلة والشواهد على فساد، وعدم قبول الفطر له.
- وقال الحسن رحمه الله: حبيب الإيمان بما وصف من الثواب عليه، وكره الثلاثة المقابلة للإيمان بما وصف من العقاب عليها.
- ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين زين الله الإيمان في قلوبهم، وحببه إليهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان: ﴿هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ المهتدون، الذين صلحت علومهم وأعمالهم، واستقاموا على الدين القويم، والصراط المستقيم<sup>(١)</sup>.
- وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يحبب الله الإيمان في قلبه في أشد المواقف صعوبة، فعن عبيد بن رفاعة الزرقي، عن أبيه قال: لما كان يوم أحد وانكفاً المشركون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استووا حتى أثنى على ربي»، فصاروا خلفه صفوفاً، فقال:

(١) انظر: معالم التنزيل (ج ٤ / ص ٢٥٨)، المحرر الوجيز (ج ٨ / ص ١٢)، الجامع لأحكام القرآن (ج ١٦ / ص ٢٦٦)، تفسير القرآن العظيم (ج ٤ / ص ٢١٧٥)، تفسير الجلالين (ص ٥١٦)، التحرير والتنوير (ج ٢٦ / ص ٢٣٧)، تيسير الكريم الرحمن (ص ١١٢٨).

«اللهم لك الحمد كله. اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مُضِل لمن هديت. ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت. ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت...» إلى أن قال: «اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين...» الحديث<sup>(١)</sup>.

و ضد الراشدين الغاؤون، الذين حبب إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وكره إليهم الإيمان.. والذنب ذنبهم؛ فإنهم لما فسقوا طبع الله على قلوبهم، ولما ﴿زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، ولما لم يؤمنوا بالحق لما جاءهم أول مرة، قلب الله أفئدتهم<sup>(٢)</sup>.

إذن، ففرح العبد بالمعصية إذا وقع فيها؛ علامة على ضعف إيمانه، وأن قلبه مدخول، إما بالكبر وإما بالنفاق، وكلاهما مُرْدٌ مُهْلِكٌ، وفي المطلبين الآتين بيان ذلك.

### المطلب الثاني: الفرح بالمعصية بدافع النفاق:

يقول الله تعالى عن المنافقين: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[التوبة: ٨١-٨٢].

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (ج ٣ / ص ٤٢٤) وهو في صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري (ح ٦٩٩)، والمستدرک (ج ٣ / ص ٢٣) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والألباني في صحيح الأدب المفرد، وقال الأرئؤوط في تحقيق المسند (ج ٢٤ / ص ٢٤٧): رجاله ثقات.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص ١١٢٨).



وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم بالنَّفر إلى جهاد أعداء الله، فخالفوا أمره وجلسوا في منازلهم.. و(خِلاف) كما قال الطبري: مفعول لأجله، ففرحهم كان بسبب خلافهم أمره.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هُزُؤًا ولعبًا. يقول الله تبارك وتعالى: (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا) في الدنيا (وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) في النار.. قال البغوي: تقديره: فليضحكوا قليلاً فسيكون كثيراً؛ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

ويعقد العلامة السعدي مقارنة بين المنافق إذا وقع في المعصية وبين المؤمن إذا وقع فيها، بأن المنافقين يتبجحون بتخلفهم وعدم مبالاتهم بذلك، الدال على عدم الإيمان، وعلى اختيار الكفر عليه، وهذا قدر زائد على مجرد التخلف، فإن هذا تخلف محرم، وزيادة رضا بفعل المعصية، وتبجح به.

وهذا بخلاف المؤمنين الذين إذا تخلفوا -ولو لعذر- حزنوا على تخلفهم وتأسفوا غاية الأسف، ويحبون أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، لما في قلوبهم من الإيمان، ولما يرجون من فضل الله وإحسانه وبره وامتنانه. اهـ بتصرف يسير.

ويُظهر سيد رحمه الله تعالى الدافع لهم إلى ذلك بأن هؤلاء الذين أدركتهم ثقل الأرض والحرص على الراحة، والشح بالنفقة، وقعد بهم ضعف الهمة وهزال النخوة، وخواء القلب من الإيمان.. هؤلاء المخلفون<sup>(١)</sup> فرحوا بالسلامة والراحة خلاف رسول الله، وتركوا المجاهدين يلاقون الحر والجهد، وحسبوا

(١) والتعبير يلقي ظل الإهمال كما لو كانوا متاعاً يخلف أو هملاً يُترك. سيد قطب.

أن السلامة غاية يحرص عليها الرجال! ﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ وهي قوله المسترخي الناعم الذي لا يصلح لشيء مما يصلح له الرجال.

### \* فرح المنافق وحزن المؤمن:

قال ابن عاشور رحمه الله: ففرحهم دال على نفاقهم؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين لكان التخلف نكدا عليهم ونغصاً، كما وقع للثلاثة الذين خُلفوا فتاب الله عليهم<sup>(١)</sup>.

والثلاثة الذين خُلفوا هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضي الله عنهم، وقد رواها كعب مطولة وهي في الصحيحين<sup>(٢)</sup>، وذكر فيها تسويفه الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة حتى فاته الخروج معهم.

قال كعب بن مالك رضي الله عنه: «وهمت أن أرتحل فأدرتهم -وليتني فعلت- فلم يُقدّر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فطُفْتُ فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء».

(١) انظر: جامع البيان (ج ١٠ / ص ٢٢٥ - ٢٢٧)، معالم التنزيل (ج ٢ / ص ٣٧٥)، المحرر الوجيز (ج ٤ / ص ٣٧٥)، الجامع لأحكام القرآن (ج ٨ / ص ١٩٧)، تفسير القرآن العظيم (ج ٢ / ص ١٠٨٣ - ١٠٨٤)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٢ / ص ١٥٣)، تفسير الجلالين (ص ٢٠٠)، جامع البيان للإيجي (ص ٣٩٠)، التحرير والتنوير (ج ١٠ / ص ٢٨٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٦٧)، في ظلال القرآن (ج / ص ١٦٨٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري كتاب المغازي (ح ٤٤١٨)، وصحيح مسلم كتاب التوبة (ح ٢٧٦٩).

فانظر تندّمه، مع أن الله قد غفر له، أنه لم يرتحل، وحزنه أنه لم يشاركه في التخلف إلا أحد رجلين: منافق أو معذور.

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعترف له كعب وصاحباؤه بأن تخلفهم لم يكن لعذر مقبول - خلافا لما فعله المنافقون من الكذب على رسول الله - أدّبهم بالهجر، قال كعب:

«ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا -أيها الثلاثة- من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغير والنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحبائي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبّ القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه -وهو في مجلسه بعد الصلاة- فأقول في نفسي: هل حرك شفّتيه برد السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني.

حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس؛ مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة -وهو ابن عمي وأحب الناس إلي- فسلمت عليه، فوالله ما رد علي السلام!! فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار»<sup>(١)</sup>.

الله أكبر! صاحباؤه قعدا في البيت يبكيان، وهو يحاول كسر حصار الهجر

باسترضاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتذرف عيناه الدمع على ما بدر منه وما عوقب به، هذا والله رجل سرته حسنته وساءته سيئته.

ثم قال كعب في أمر رسول الله الثلاثة أن يهجرُوا نساءهم: « فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: ( لا ولكن لا يقربك). قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا»<sup>(١)</sup>.

قف ملياً عند حزنهم لذنبهم، ثم قف طويلاً عند فرحهم بتوبة الله عليهم بعد خمسين يوماً، قال كعب:

«حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت؛ سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج.

وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبني مبشرون، وركض إلي رجل فرساً، وسعى ساعٍ من أسلم فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنني نزعته له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه -والله ما أملك غيرهما يومئذ -واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم، فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهتئوني بالتوبة، يقولون: لتهنك توبة الله عليك.

قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك»، قال: قلت: أومن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله». وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه.

فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك»..... إلى آخر الحديث<sup>(١)</sup>.

ومدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يومذاك كأنها في يوم عيد، والجميع فرح مستبشر بتوبة الله على الثلاثة: رسول الله، والصحابه الذين تسابقوا إلى تبشيرهم وتهنئتهم، والثلاثة الذين تيب عليهم من باب أولى:

- لقد سجد بمجرد سماع البشارة.

- وأعطى ثوبيه اللذين لا يملك في ذلك الوقت غيرهما للذي بشره.

- وأسرع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

- وأراد أن يتصدق بكل ماله تعبيراً عن فرحه بتوبة الله عليه.

(١) المصدران السابقان.

فأين هذا من الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله؟!

**المطلب الثالث: الفرح بالمعصية بدافع الكبر:**

ولابد من بيان ثلاثة أمور:

**الأمر الأول: تعريف الكبر:**

الكبر: احتقار الناس وردّ الحق، كما صح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر».

قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال: «إن الله جميل يحب الجمال. الكبر: بطن الحق وغمط الناس»<sup>(١)</sup>.

وبطن الحق: هو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا، وغمط الناس معناه احتقارهم، قاله النووي رحمه الله<sup>(٢)</sup>.

**الأمر الثاني: الدافع على الكبر:**

وإنما ينتج الكبر من الغرور والعجب، وقد حذر الله عباده من ذلك في موطنين من القرآن الكريم، فقال في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٧٣].

قال ابن عطية رحمه الله: و«مرحاً» بفتح الراء مصدر من مَرَحَ يَمْرَحُ إذا تبخر مسروراً بديناه مقبلاً على راحته، فهذا هو المرح، فنهي الإنسان في هذه الآية أن يكون مشيه في الأرض على هذا الوجه.

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان (ح ٩١).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (ج ٢ / ص ٩٠).

وقال القرطبي: هذا نهْيٌ عن الخيلاء وأمرٌ بالتواضع.

والمرح: شدة الفرح. وقيل: التكبر في المشى. وقيل: تجاوز الانسان قدره.  
وقال قتادة: هو الخيلاء في المشى. وقيل: هو البطر والأشر. وقيل: هو النشاط..  
وهذه الأقوال متقاربة<sup>(١)</sup>، ولكنها منقسمة قسمين: أحدهما مذموم والآخر محمود، فالتكبر والبطر والخيلاء وتجاوز الانسان قدره؛ مذمومة، والفرح والنشاط محمودان.

ومعنى الآية أنك بقدرتك لا تبلغ هذا المبلغ، بل أنت عبد ذليل، محاط بك من تحتك ومن فوقك، والمحاط محصور ضعيف، فلا يليق بك التكبر..  
وأنشدوا:

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً      فكم تحتها قومٌ هموا منك أرفعُ  
وإن كنت في عز وحرز ومنعةٍ      فكم مات من قوم هموا منك أمتعُ

ونبه الطبري رحمه الله إلى أن الله سبحانه يعرف عباده بذلك أنهم لا ينالون  
كببرهم وفخارهم شيئاً لا يصل إليه غيرهم.

الأمر الثالث: سبب حرمة الكبر:

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾  
[الإسراء: ٧٣] تهكم بالمتكبر، قاله الإيجي رحمه الله، وبين ابن عاشور أن المقصود  
من التهكم التشنيع بهذا الفعل، فدل ذلك على أن المنهي عنه حرام؛ لأنه:

١ - فساد في خلق صاحبه.

(١) قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: المرح: شدة ازدهاء المرء وفرحه بحاله في عظمة الرزق.  
التحرير والتنوير (ج ١٥ / ص ١٠٣).

٢- وسوء في نيته.

٣- وإهانة للناس بإظهار التفوق عليهم.

٤- وإرهابهم بقوته<sup>(١)</sup>.

ومما يذكر من الأخبار في ذلك ما أورده الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله عن أبي بكر الهذلي قال: بينما نحن مع الحسن، إذ مر عليه ابن الأهتم - يريد المنصور - وعليه جبابٌ خَزَّ قد نُصِّد بعضها فوق بعض على ساقه، وانفرج عنها قباؤه، وهو يمشي ويتبختر.

إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال: أف أف، شامخ بأنفه، ثانٍ عطفه، مصعّر خدّه، ينظر في عطفيه، أيّ حُمِيق ينظر في عطفه في نَعَم غير مشكورة ولا مذكورة، غير المأخوذ بأمر الله فيها، ولا المؤدّي حقّ الله منها! والله إن يمشي أحدهم طبيعته يتلجلج تلجلج المجنون، في كل عضو منه نعمة، وللشيطان به لعنة.

فسمعه ابن الأهتم فرجع يعتذر إليه، فقال: لا تعتذر إلي، وتب إلى ربك، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٧٣].

ورأى العمريّ العابد رجلاً من آل عليّ يمشي يخطر، فأسرع إليه فأخذ بيده فقال: يا هذا، إن الذي أكرمك الله عز وجل به لم تكن هذه مشيته! قال: فتركها

(١) انظر: جامع البيان (ج ١٥ / ص ١٠٢-١٠٣) معالم التنزيل (ج ٣ / ص ١٣٣)، المحرر الوجيز (ج ٥ / ص ٤٨٠)، الجامع لأحكام القرآن (ج ١٠ / ص ٢٢٧-٢٢٨)، تفسير القرآن العظيم (ج ٣ / ص ١٣٦٤)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٢ / ص ٣٢٩)، تفسير الجلالين (ص ٢٨٥)، جامع البيان للإيجي (ص ٥٢٩)، التحرير والتنوير (ج ١٥ / ص ١٠٣-١٠٤)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٣٠).



الرجل بعد<sup>(١)</sup>.

وقد حذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من التبخر في المشي والإعجاب بالنفس أشد التحذير، كما روى عنه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: «بينما رجل يتبخر يمشي في بُرديه، قد أعجبته نفسه؛ فحسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

قال أبو العباس القرطبي رحمه الله<sup>(٣)</sup>: وإعجاب الرجل بنفسه: هو ملاحظته لها بعين الكمال والاستحسان مع نسيان مَنَّة الله تعالى، فإن رفعها على الغير واحتقره، فهو الكبر المذموم<sup>(٤)</sup>.

فالكبر والعجب خلقان يبغضهما الله، وهو دال على فرح العبد بما يفعله حالاً كان أم حراماً، قال سبحانه وتعالى في ذكر وصية لقمان رحمه الله لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: لا تتكبر فتحقر عباد الله، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك، قال ابن كثير: ولكن ألن جانبك، وابسط وجهك إليهم، كما جاء في الحديث: «ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه مُنْبَسِط، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المَخِيلَة، والمَخِيلَة لا يحبها

(١) كتاب الخمول والتواضع، ضمن موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا (ج ٣ / ص ٥٨٠ - ٥٨٢).  
(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس (ج ٥٧٨٩)، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة (ج ٢٠٨٨) واللفظ له.

(٣) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الحافظ، الأنصاري القرطبي، شيخ القرطبي صاحب التفسير (٦٥٦هـ) رحمه الله.

(٤) المُفْهَم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (ج ٥ / ص ٤٠٦).

الله»<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: جذلا متكبرا جبارا عنيدا، لا تفعل ذلك؛ يبغضك الله. قاله ابن كثير رحمه الله تعالى.. ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: مختال معجب في نفسه، فخور: أي على غيره<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نخلص إلى أن الفرح بمعصية الله فرح قبيح مذموم، وأنه لا يصدر من إنسان ينتسب إلى الإسلام إلا بأحد دافعين: إما النفاق، وإما الكبر، وكلاهما داء مهلك، ومسقط للعبد من نظر الله سبحانه وتعالى.

ولا شك أن أثر ذلك على العبد سيكون وخيما، فإنه إذا فرح بمعصيته تمادى فيها، ولم يخطر بباله أن يتوب منها، كيف وهو لا يرى نفسه إلا كاملا بهذه المعصية؟ فنعوذ بالله من الخذلان.

وقد أظهرت لنا الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة صورا من الفرح المذموم الذي يبغضه الله سبحانه وتعالى، وهو الفرح المذموم لذاته.. وأن الدافع النفسي له هو إثارة الدنيا على الآخرة، وأنه أنواع كثيرة يجمعها:

الفرح بالكفر - عياذاً بالله -، والذي من آثاره: الاشتزاز عند ذكر التوحيد، والرضا بمذاهب الكفر الباطلة، والسعي في أن يكفر المسلمون.

#### ١ - الفرح بالنفاق، وآثاره قريبة من آثار الفرح بالكفر.

(١) مسند الإمام أحمد (ج ٥ / ص ٦٣) من حديث جابر بن سليم الهجيمي مرفوعاً.  
(٢) انظر: معالم التنزيل (ج ٣ / ص ٥٨٩)، المحرر الوجيز (ج ٧ / ص ٥٢)، الجامع لأحكام القرآن (ج ١٤ / ص ٦٥)، تفسير القرآن العظيم (ج ٣ / ص ١٨١١)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٣ / ص ٢٣٣)، الإكليل في استنباط التنزيل (ص ٥٠٨ - ٥٠٩)، تفسير الجلالين (ص ٤١٢)، جامع البيان للإبجي (ص ٧٣٩)، التحرير والتنوير (ج ٢١ / ص ١٦٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٩٠٨).

٢- الفرح بالمعصية إما بدافع النفاق، وإما بدافع الكبر.

٣- و أما الفرح الذي يكون محمودا في حال ومذموما في حال فهو الفرح المباح لذاته، وسيُفرد له الفصل التالي بإذن الله تعالى.

## الفصل الثالث

### الفرح المباح

وفيه مباحث:

#### المبحث الأول

#### الفرح بالدنيا

ظهر من الفصلين السابقين أن من الفرح ما هو محمود لذاته؛ لأنه فرح بما يرضي الله سبحانه وتعالى، وأن منه ما هو مذموم لذاته؛ لأنه فرح بمخالفة أمر الله عز وجل.

بيد أن من الفرح فرحاً لا يمكن أن نذمه مطلقاً، ولا أن نمدحه مطلقاً؛ ذلك أنه فرح لا يتعلق بالحكم الشرعي لذاته، أعني بالحل والحرمة، وإنما هو من الفرح الذي جُبِلَ عليه الإنسان حين ينال نعمةً، أو حين تندفع عنه نقمة.

وهو فرح مباح ولا شك، غير أنه قد يتعلق بمحبوبٍ لله فيصير فرحاً محموداً، وقد يتعلق بما يبغضه الله فيصير فرحاً مذموماً. وهذا الفرح -إذا أردنا أن نجعل له ضابطاً يجمع شتاته - قلنا: إنه الفرح بمتاع الدنيا.

ومع أن الدنيا لم تكد تذكر في القرآن الكريم إلا مذمومة، إلا أن الآيات التي يذم فيها الفرح بالدنيا يلاحظ أن فيها إشارة:

١ - إلى دافعٍ نفسيٍّ مكروه عند الله.

٢- أو إلى أثر سلوكي منحرف يبغضه الله.

ويمكن إيضاح هذا من خلال المطلبين الآتين:

**المطلب الأول: ضابط<sup>(١)</sup> ذم الفرح بالدنيا:**

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ [الرعد: ٢٦].

فاستجملهم الله وبيّن نقصان عقولهم حين فرحوا بما بُسّط لهم في الدنيا، على كفرهم ومعاصيهم، وجعلوا ما عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة من الكرامة والنعيم.

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: ولما كان المقصود الأول من هذا الكلام تعليم المسلمين؛ كان الكلام موجها إليهم، وجيء في جانب الكافرين بضمير الغيبة (وَفَرِحُوا) إشارة إلى أنهم أقل من أن يفهموا هذه الدقائق؛ لعنجهية نفوسهم. ١. هـ.

ويشير الإمام البغوي رحمه الله بالوصف إلى أن الفرح بالدنيا يحرم إذا كان دافعه الأشر والبطر، فيقول: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني: مشركي مكة أشروا وبَطَرُوا، والفرح: لذة في القلب بِنَيْلِ المشتهى، وفيه دليل على أن الفرح بالدنيا حرام.

ويرى القرطبي أن في الآيات تقديمًا وتأخيرًا، فيقول رابطًا بينها وبين ما سبق من الآيات: إنهم فرحوا بالدنيا ولم يعرفوا غيرها، وجعلوا ما عند الله، وهو معطوف على ﴿.. وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ..﴾ [الرعد ٢٥]. والتقدير: والذين ينقضون

(١) الضابط: حكم كليّ ينطبق على جزئياته (المعجم الوسيط ص ٥٣٣).

عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض وفرحوا بالحياة الدنيا. ١.هـ.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ فجميع ما أعطي هؤلاء في الدنيا من السَّعة وبُسْط لهم فيها من الرزق ورغد العيش بالإضافة إلى الآخرة: متاع ذاهب مضمحل، وشيء حقير ذاهب، يستمتع به قليلاً ثم يفنى، وهذه حقيقة المتاع: ما يتمتع به مما لا يبقى، قال الشاعر:

تَمَتَّعْ يَا مُشَعَّثُ إِنَّ شَيْئاً سَبَقَتْ بِهِ الْمَمَاتَ هُوَ الْمَتَاعُ

قال عبد الرحمن بن سابط<sup>(١)</sup> رحمه الله: كزاد الراعي يُزوده أهله الكف من التمر، أو الشيء من الدقيق، أو الشيء يشرب عليه اللبن.

فالأية -إذن- تشير إلى ذم الفرح بالدنيا إذا كان سُلْهي عن الآخرة، ولذا -والله أعلم- جاءت المقارنة فيها بين الدنيا والآخرة، فهم فرحوا بالدنيا -كما قال السعدي- فرحاً أوجب لهم أن يطمئنوا بها، ويغفلوا عن الآخرة.. فالذم في فرحهم لأنهم فرحوا بالحياة الدنيا ومتاعها الزائل، فلم يتطلعوا إلى الآخرة ونعيمها المقيم.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: حَقَّرَ الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما ادَّخره تعالى لعباده المؤمنين في الدار الآخرة فقال: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ كما قال: ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]، وقال: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٦-١٧]. ١.هـ.<sup>(٢)</sup>

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط الجُمحي المكي، تابعي ثقة كثير الحديث والإرسال، (ت: ١١٨هـ)، انظر: تهذيب التهذيب (ج ٣ / ص ٣٦٤)، وتقريب التهذيب (ص ٣٦٢).

(٢) انظر: جامع البيان (ج ١٣ / ص ١٧٢)، معالم التنزيل (ج ٣ / ص ٢٠)، المحرر الوجيز (ج ٥ / ص ٢٠٢)،

وعن المستورد أخي بني فهر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم، فلينظر بم ترجع؟» وأشار بالسبابة<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث الآخر: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر بجدي أسك ميت -والأسك الصغير الأذنين- فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: «أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «أتحبون أنه لكم؟» قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟! فقال: «فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»<sup>(٢)</sup>. ١.هـ.

فنخلص مما سبق إلى أن الفرح بالدنيا إنما صار مذموماً إذا كان ينسي الآخرة، وكان فرحاً مشوباً بأشر وبطر؛ وإنما صار مذموماً لأن صاحبه رضي بالدنيا رضاء زهده في الآخرة حتى غفل عنها وعن آيات الله، لاطمئنانه إلى الدنيا، وقد عرفنا في المقدمات أن من معاني الفرح الرضا.. قال الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ إِلَّا مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧-٨].

الجامع لأحكام القرآن (ج ٩ / ص ٢٦٧)، تفسير القرآن العظيم (ج ٢ / ص ١٢٢٨)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٢ / ص ٢٥١)، تفسير الجلالين (ص ٢٥٢)، جامع البيان للإيجي (ص ٤٧٦)، التحرير والتنوير (ج ١٣ / ص ١٣٤)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٥٧٢)، في ظلال القرآن (ج ٤ / ص ٢٠٥٩).  
 (١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (ج ٤ / ص ٢٢٩)، صحيح مسلم، كتاب الجنة ونعيمها (ح ٢٨٥٨).  
 (٢) رواه مسلم. كتاب الزهد والرقائق. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (ح ٢٩٥٧).

## المطلب الثاني: ضابط جواز الفرح بالدنيا<sup>(١)</sup>:

وما دام الفرح بالدنيا دائرا بين الحل والحرمة، فلا بد من ضابط نعرف به متى يكون الفرح بالدنيا مباحا؛ حتى لا يتجاوز العبد حده في ذلك؛ فإن ضبط الأمور المنتشرة المتعددة في القوانين المتحدة هو أوعى لحفظها، وأدعى لضبطها، كما قال الزركشي رحمه الله<sup>(٢)</sup>.. وبيان ذلك في المسائل الآتية:

## المسألة الأولى: ميزان الفرح والحزن في آية:

بينت آية الحديد ذلك الضابط في قول الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَفَاتِكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿[الحديد: ٢٢-٢٤].

فكل مصيبة من خير أو شر -واللفظ كما قال سيد: على إطلاقه اللغوي لا يختص بخير ولا بشر- تقع في الأرض كلها وفي أنفس البشر أو المخاطبين منهم يومها، هي في ذلك الكتاب الأزلي من قبل ظهور الأرض وظهور الأنفس في صورتها التي ظهرت بها، وهذا أمر عظيم لا تحيط به العقول، بل تذهل عنه أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

(١) انظر فيما ورد في هذا المطلب: جامع البيان (ج ٢٧ / ص ٢٧٣)، معالم التنزيل (ج ٥ / ص ٣٢)، المحرر الوجيز (ج ٨ / ص ٢٣٧)، الجامع لأحكام القرآن (ج ١٧ / ص ٢٢٠)، تفسير القرآن العظيم (ج ٤ / ص ٢٢٨٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٤ / ص ١٨٨)، تفسير الجلالين (ص ٥٤٠)، جامع البيان للإيجي (ص ٩٥١)، التحرير والتنوير (ج ٢٧ / ص ٤١١)، تيسير الكريم الرحمن (ص ١١٨٦)، في ظلال القرآن (ج ٦ / ص ٣٤٩٣).

(٢) انظر: المنشور في القواعد (ج ١ ص ٦٥).



﴿لَيْكِلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من الدنيا، فلم تدركوه منها ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ منها، فالله سبحانه أعلمكم بذلك ليكون سبب تسليمكم وقلة اكتراثكم بأمر الدنيا، فلا تحزنوا على ما فات، ولا تفرحوا بالفرح المُبْطِل بما آتاكم منها، وهذا يدل على أن الفرح المنهي عنه إنما هو ما أدى إلى الاختيال، أما الفرح بنعم الله المقترن بالشكر والتواضع فأمر لا يستطيع أحد دفعه عن نفسه ولا حرج فيه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما -وهو يضبط الفرح والحزن بضابط محكم- : ليس أحد إلا يحزن ويفرح، ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبراً، ومن أصابه خير فجعله شكراً<sup>(١)</sup>.

وقال تلميذه عكرمة: ليس أحدٌ إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكراً، والحزن صبراً.

### المسألة الثانية: محل الفرح والحزن:

ومجال الأسى والفرح هو النفس، وقد وضع الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى الدافع على ضبط النفس عند الفرح والحزن بأن: من أيقن أن ما عنده من نعمة دنيوية مفقود يوماً لا محالة؛ لم يتفاقم جزعه عند فقدته؛ لأنه قد وطّن نفسه على ذلك، وقد أخذ هذا المعنى كثير في قوله:

فقلت لها: يا عَزَّ كُلُّ مَصِيبَةٍ إِذَا وَطَّنت -يوماً- لها النفس ذَلَّتْ

والمعنى: أخبرتكم بذلك لتكونوا حكماء بُصراء فتعلموا أن لجميع ذلك أسباباً وعللاً، وأن للعالم نظاماً مرتبطاً ببعضه ببعض، وأن الآثار حاصلة عقب

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (ج ٢ / ص ٤٧٩) وصححه ووافقه الذهبي.

مؤثراتها لا محالة.

فإذا رسخ ذلك في علم أحد لم يحزن على ما فاتته مما لا يستطيع دفعه، ولم يغفل عن ترقب زوال ما يسره إذا كان مما يسره، ومن لم يتخلق بخلق الإسلام يتخبط في الجزع إذا أصابه مصاب، ويُسْتَطَارُ خُيلاءً وتطاولاً إذا ناله أمر محبوب، فيخرج عن الحكمة في الحالين.

والمقصود من هذا التنبيه على أن المفرحات صائرة إلى زوال وأن زوالها مصيبة. ١. هـ.

وقال ابن المقفع: «وعلى العاقل أن لا يحزن على شيء فاتته من الدنيا أو تولى، وأن ينزل ما أصابه من ذلك ثم انقطع عنه منزلة ما لم يصب، وينزل ما طلب من ذلك ولم يدركه منزلة ما لم يطلب، ولا يدع حظه من السرور بما أقبل منها، ولا يبلغن ذلك سكرًا ولا طغيانًا؛ فإن مع السكر النسيان، ومع الطغيان التهاون، ومن نسي وتهاون خسر»<sup>(١)</sup>.

### المسألة الثالثة: أثر ضبط النفس بما دلت عليه آية الحديد:

يكشف سيد رحمه الله تعالى عن أثر هذه الحقيقة على النفس بأنه حين يستقر في تصور الإنسان وشعوره:

\* أنه هو والأحداث التي تمر به، وتمر بغيره، والأرض كلها؛ ذرات في جسم كبير هو هذا الوجود.

\* وأن هذه الذرات كائنة في موضعها في التصميم الكامل الدقيق، لازم بعضها لبعض.

(١) الأدب الصغير (ص ١٩).

\* وأن ذلك كله مقدر مرسوم معلوم في علم الله المكنون.

حين يستقر هذا في تصورهِ وشعوره؛ فإنه يمضي مع قدر الله في طوعية وفي رضى، رضى العارف المدرك أن ما هو كائن هو الذي ينبغي أن يكون. ا.هـ. غير أنه يعود بعد دراسة واقع أكثر الناس فيعترف بأن: هذه درجة قد لا يستطيعها إلا القليلون، فأما سائر المؤمنين فالمطلوب منهم ألا يخرجهم الألم للضراء، ولا الفرح بالسراء عن دائرة التوجه الى الله، وذكره بهذه وبذلك، والاعتدال في الفرح والحزن. ا.هـ.

وقد أدرك هذا الحكماء قديما وحديثا، فكانت حياتهم مطمئنة هادئة مهما أصابهم فيها من لأواء أو سراء:

- قال الربيع بن صالح: لما أخذ سعيد ابن جبير رضى الله عنه بكيت، فقال: ما يبكيك؟ قلت: أبكي لما أرى بك ولما تذهب إليه. قال: فلا تبك؛ فإنه كان في علم الله أن يكون، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ الآية.

- وقيل لبُزْجَمهر<sup>(١)</sup>: أيها الحكيم! مالك لا تحزن على ما فات، ولا تفرح بما هو آت؟ قال: لأن الفائت لا يُتلافى بالعبرة، والآتي لا يستدام بالحبرة.

- وقال الفضيل بن عياض في هذا المعنى: الدنيا مبيد ومفيد، فما أباد فلا رجعة له، وما أفاد آذن بالرحيل.

(١) هو بزرجمهر بن البختكان، حكيم فارسي، كان وزير أنوشروان ملك الفرس، وهو الذي قص تاريخ انتساخ كتاب كليله ودمنة وترجمته من كتب الهند، (عبد السلام هارون في التعليق على البيان والتبيين للجاحظ (ج ١/ ص ٢٥).

### المسألة الرابعة: الفرح والحزن المنهي عنهما:

قال القرطبي رحمه الله: والحزن والفرح المنهي عنهما هما اللذان يُتَعَدَى فيهما إلى ما لا يجوز، قال الله تعالى: (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) ١. هـ.

ولاحِظ تحوُّل الفرح المباح إلى فرح مذموم؛ بسبب الأثر السلوكي السيئ الناشئ عن الفرح بالدنيا مع نسيان الآخرة.. قال ابن كثير: أي: لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم؛ فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم، وإنما هو عن قَدَرِ الله ورزقه لكم، فلا تتخذوا نعم الله أشراً وبطراً، تفخرون بها على الناس؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

فهم كما قال ابن جرير:

- ييخلون بإخراج حق الله الذي أوجبه عليهم فيه، ويشحون به.

- وهم - مع بخلهم به أيضاً - يأمرؤن الناس بالبخل.

وقوله: (وَمَنْ يَتَوَلَّ) بأن يُدَبِّرَ، وإِدْبَارُهُ:

بالإعراض عن عِظَةِ الله، وترك العمل بما دعاه إليه من الإنفاق في سبيله

- وبالفرح بما أوتي من الدنيا، مختالاً به فخوراً.

- وبالبخل.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ الغني عن ماله ونفقته، وعن غيره من سائر

خلقه.. الحميد إلى خلقه بما أنعم به عليهم من نعمه.

فلما كانت آثار الفرح بالدنيا فخراً وبخلاً ودعوة إلى البخل؛ صار الفرح

المباح فرحاً مذموماً ممقوتاً.

ورحم الله جعفر بن محمد الصادق<sup>(١)</sup>، ما أحسن حكمته حين قال: يا ابن آدم، مالك تأسف على مفقود لا يردّه إليك الفوت، ومالك تفرّح بموجود لا يتركه في يدك الموت.

إذن، فخلاصة هذا المطلب أن الفرّح بالدنيا هو من الفرّح المباح، ما لم يكن له آثار مذمومة فيُذمّ، أو ممدوحة فيُمدّح.

---

(١) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، قال ابن حبان: كان من سادات أهل البيت فقهًا وعلمًا وفضلاً، (تـ ١٤٨ هـ) انظر تهذيب التهذيب (ج ١ / ٣٨٥ - ٣٨٦).

## المبحث الثاني

### الفرح بتفريج الهم وقضاء الحوائج

من صور الفرح المباح: فرح الإنسان بتفريج همه وقضاء حوائجه، فمن كان يعيش همًّا يقضّ مضجعه بالليل، ويمنعه لذة الطعام والشراب بالنهار، ويتركه في قلق وحيرة من أمره.. ثم جاءه الفرج من حيث لا يحتسب، فقُضيت حاجته، وزال همه؛ فلا شك أنه يفرح بذلك.

وقد حصل هذا الفرح لأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام ولأتباعهم والسائرين على نهجهم، وذكره الله عز وجل في القرآن، ولنذكر صوراً لذلك من أخبار الأنبياء وأتباعهم في المطالب الآتية:

#### المطلب الأول: فرح يعقوب بعودة يوسف عليهما السلام:

قال الله سبحانه وتعالى في يعقوب صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦].

فالبريد الذي أوصل خبر يوسف إلى يعقوب سماه الله بشيراً؛ لأنه سيأتيه بما يستبشر به، وبما يزول به همه وغمه، قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: والتبشير: المبادرة بإبلاغ الخبر المُسرِّ بقصد إدخال السرور. ١. هـ.

﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ بقرب الاجتماع بيوسف وإخوته وأبيهم، قال ابن عباس وغيره رضي الله عنهم: هو يهوذا بن يعقوب، قال: أنا ذهبت بالقميص ملطّخاً بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب، فأنا أذهب إليه اليوم

بالقميص فأخبره أن ولده حي، فأفرحه كما أحزنه.

﴿أَلْقَنَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَأَرْتَدَّ بِصِيرًا﴾ أي: رجع على حاله الأولى بصيرا، بعد أن ابيضت عيناه من الحزن، وعادت إليه قوته بعد الضعف، وشبابه بعد الهرم، وسروره بعد الحزن.. فقال لمن حضره من أولاده وأهله - الذين كانوا يفندون رأيه، ويتعجبون منه - منتصرا عليهم، متبجحا بنعمة الله عليه: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنْني أَعْلَمُ مِمَّا اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ حيث كنت مترجيا للقاء يوسف، مترقبا لزوال الهم والغم والحزن.

قال القرطبي: وهو دليل على جَوَازِ إِظْهَارِ الْفَرَحِ بَعْدَ زَوَالِ الْغَمِّ وَالتَّرَحِّ<sup>(١)</sup>.

**المطلب الثاني: فرح أم موسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم بعودته إليها:**

لما أَلَقَتْ أم موسى ولدها في اليم، أصبح فؤادها - كما وصف الله سبحانه وتعالى - فارغا، ثم جاءها ما تقر به عينها من عودة ولدها لها آمناً في حراسة قوم فرعون الذين كانت تخافهم عليه، ولتتابع قصتها رضي الله عنها في ثلاث مراحل:

**المرحلة الأولى: الإلهام والبشارة:**

قال عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ إِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَكَلِّمِيهِ فِي السَّيْرِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، وهذا

(١) انظر: معالم التنزيل (ج ٢ / ص ٥١٤)، المحرر الوجيز (ج ٥ / ص ١٥٠)، الجامع لأحكام القرآن (ج ٩ / ص ٢٢٢)، تفسير القرآن العظيم (ج ٢ / ص ١٢٠٤)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٢ / ص ٢٣٨)، تفسير الجلالين (ص ٢٤٧)، جامع البيان للإيجي (ص ٤٦٥)، التحرير والتنوير (ج ١٣ / ص ٥٤)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٥٥٥).

- كما قال السعدي- من أعظم البشائر الجليلة، وتقديم هذه البشارة لأُم موسى، ليطمئن قلبها، ويسكن روعها.

قال ابن العربي: هذه الآية من أعظم آي القرآن فصاحة؛ إذ فيها أمران ونهيان وخبران وبشارتان.

وذكر القرطبي حكاية عن الأصمعي قال: سمعت جارية أعرابية تنشد وتقول:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِدَنْبِي كُلِّهِ      قَبَلْتُ إِنْسَانًا بِغَيْرِ حِلِّهِ  
مِثْلَ الْغَزَالِ نَاعِمًا فِي دَلِّهِ      فَانْتَصَفَ اللَّيْلُ وَلَمْ أَصَلِّهِ

فقلت: قاتلك الله ما أفصحك! فقالت: أَوْ يَعُدُّ هَذَا فَصَاحَةً مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ» الآية؟ فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

ويوضح الطاهر بن عاشور رحمه الله ذلك بقوله:

١- فالخبران هما: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ وقوله: ﴿فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ﴾؛ لأنه يشعر بأنها ستخاف عليه.

٢- والأمران هما: ﴿أَرْضِعِيهِ﴾ و﴿فَأَلْقِيهِ﴾.

٣- والنهيان: ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ و﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾.

٤- والبشارتان: ﴿إِنَّا رَأَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ و﴿وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

ثم قال رحمه الله: والنهي عن الخوف وعن الحزن نهْيٌ عن سببهما وهما توقع المكروه والتفكير في وحشة الفراق.



### المرحلة الثانية: حفظ الله ابنها في يد عدوها:

قال الله تعالى: ﴿فَالنَّقْطَةُ ۚ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمُنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (٨) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ﴿[القصص: ٨-٩].

تقول: أبقه لنا، لتقرّ به أعيننا، ونُسّر به في حياتنا. أي: هو سبب قرة عين لي ولك.

وقرة العين كناية عن السرور، وهي كناية ناشئة عن ضدها وهو سُخْنة العين التي هي أثر البكاء اللازم للأسف والحزن.

وفي الجهة الأخرى معاناة أم فقدت وليدها: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا ۚ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا﴾ أي: خاليا من كل شيء إلا من ذكر موسى وهمه، وهذا قول أكثر المفسرين.. وهو معنى ما نقله ابن عطية عن مالك رحمه الله، قال: هو ذهاب العقل، قال ابن عطية: نحو قوله ﴿.. وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣] قال القرطبي معلقاً: أي جوف، لا عقول لهم؛ وذلك أن القلوب مراكز العقول، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿.. فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ..﴾ [الحج: ٤٦].

### المرحلة الثالثة: تحقق الوعد، وتفريج الهم:

﴿وَقَالَتِ لِبُحْتِهِ قُصِيِّهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ﴾ (١١) وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿[القصص: ١١-١٣].

يقول سيد: وقد عاد الطفل الغائب لأمه الملهوفة، معافى في بدنه، مرموقاً في مكانته، يحميه فرعون، وترعاه امرأته، وتضطرب المخاوف من حوله وهو آمن قرير. وقد صاغت يد القدرة الحلقة الأولى من تدبيرها العجيب.

قال الطاهر ابن عاشور: و«قرت عينها» أي سُرَّت بذلك... ودمع الفرع بارد ودموع الهم حرى سخنة فمن هذا المعنى قيل: قرت العين وسخت.

قال ابن كثير: فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية، قد أبدلها الله من بعد خوفها أمنا، في عزٍّ وجاه ورزق داراً..

وقال رحمه الله: ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل: يوم وليلة، أو نحوه، والله سبحانه أعلم، فسبحان من بيديه الأمر! ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجاً، وبعد كل ضيق مخرجاً.<sup>(١)</sup>

وقال سبحانه في سورة طه: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ ۝٤٠﴾ الآية [طه: ٤٠].

عزا ابن جرير إلى ابن إسحاق قوله: لما قالت أخت موسى لهم ما قالت، قالوا: هات، فأتت أمه فأخبرتها، فانطلقت معها حتى أتتهم، فناولوها إياه، فلما وضعت في حجرها أخذ ثديها، وسُرّوا بذلك منه، وردّه الله إلى أمه كي تقرّ عينها، ولا تحزن، فبلغ لطف الله لها وله أن:

- ردّ عليها ولدها.

(١) انظر: معالم التنزيل (ج ٣ / ص ٥٢٤)، أحكام القرآن، لابن العربي (ج ٣ / ص ٤٩١)، الإكليل (ص ٤٩٨).. المحرر الوجيز (ج ٦ / ص ٥٧٣، ٥٧٦)، الجامع لأحكام القرآن (ج ١٣ / ص ٢٢٨)، تفسير القرآن العظيم (ج ٣ / ص ١٧٤٣)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٥٨٣)، في ظلال القرآن (ج ٥ / ص ٢٦٨٠)، التحرير والتنوير (ج ٢٠ / ص ٧٥، ٧٨).

- وعطف عليها نفع فرعون وأهل بيته.

- مع الأمانة من القتل الذي يتخوف على غيره، فكأنهم كانوا من أهل بيت فرعون في الأمان والسعة، فكان على فرش فرعون وسرره<sup>(١)</sup>.

ولا يستشعر المرء لذة الفرح الذي حل بقلب أم موسى حتى يعيش اللحظات التي عاشتها حين صار فؤادها فارغاً إلا من ذكر ولدها، كما قيل:

لا تعذل المشتاق في أشواقه      حتى يكون حشاك في أحشائه

فالفرح بتفريج الهم وتيسير الأمور، مركوز في فطرة الإنسان، وذكره الله سبحانه وتعالى في سورة يونس فقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

فهم يفرحون بالريح الطيبة لأنها سبب لسرعة سيرهم ووصولهم مقصودهم، وللينها واستقامتها، فهي رِيح موافقة لما يهوونه، من غير انزعاج ولا مشقة. ففرحوا بها واطمأنوا إليها<sup>(٢)</sup>.

فسهولة الأمر وتيسيره على الإنسان لا شك أنه سبب للسرور والسعادة، وهو فرح مباح لا شك فيه، غير أن الإنسان إذا فرح بتيسير أموره لكونها تيسر له التقرب إلى الله صار فرحاً محموداً، وإذا فرح بذلك ليصل به إلى المعصية فهو فرح مذموم.

(١) جامع البيان (ج ١٦ / ص ١٩٠).

(٢) انظر: جامع البيان (ج ١١ / ص ١١٦)، معالم التنزيل (ج ٢ / ص ٤١٥)، تفسير القرآن العظيم (ج ٢ /

ص ١١٢٢)، مدارك التنزيل (ص ٤٦٨)، تفسير الكريم الرحمن (ص ٤٩٠).

### المطلب الثالث: الفرح بالولد:

وهو من أكثر حاجات الناس التي يطلبون الله قضاءها، وهو كذلك فرح مفطور عليه الإنسان، ولله سبحانه حكمة بالغة في إعطاء الناس الذرية أو منعها عنهم، يقول عز وجل: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۖ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

وقد سبق في الفرح المحمود ذكر الفرح بالولد، غير أنه هناك كان فرحا بالولد الصالح خصوصا، وبالولد الذي سيرث أباه في النبوة والدعوة إلى الله.. أما الحديث في هذه الصورة فهو عن الفرح الفطري بالولد، ويمكن أن يكون جزء من فرح زكريا يحيى عليهما الصلاة والسلام من هذا الفرح، ولا عيب في ذلك، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الفرح بالولد في غير موضع من كتابه الكريم.. توضحه الأمثلة الآتية:

### المثال الأول: صورة من الفرح المباح بالولد:

ذلك هو فرح إبراهيم صلى الله عليه وسلم وزوجه سارة بإسحاق، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ الآية [هود: ٦٩]، قالت فرقة من المفسرين -وهي الأكثر- «البشرى» هي بإسحاق، وقالت فرقة: «البشرى» هي بإهلاك قوم لوط، والأول أظهر عند الزمخشري والنسفي وابن كثير، الذي استشهد له بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤].

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿... قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ

حَنِيدٌ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ  
إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَانَهُ قَائِمَةً فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ  
يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ [هود: ٦٩-٧١].

قَالَ جُمْهُورُ الْمَفْسَرِينَ: هُوَ الضَّحِكُ الْمَعْرُوفُ، وَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقِيلَ: كَانَ ضَحْكُهَا ضَحْكًا تَعَجَّبَ وَاسْتَبْعَادَ.

قَالَ الْفَرَاءُ: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، الْمَعْنَى: فَبَشَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ فَضَحِكْتَ سُورًا بِالْوَلَدِ، وَقَدْ هَرِمْتَ، وَهَذَا الْقَوْلُ مَنْسُوبٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ وَوَهَبِ بْنِ مَنْبِهِ.

وَدَلَّلَ ابْنُ عَاشُورَ عَلَى صِحَّةِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ بِأَنَّ الْبَشْرَى قَدْ حَصَلَتْ قَبْلَ أَنْ يُخْبِرُوهُ بِأَنَّهُمْ أَرْسَلُوا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ كَمَا فِي آيَةِ سُورَةِ الذَّارِيَاتِ ﴿٦٩﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٧٠﴾ [الذاريات: ٨٢].

وَلَا يَخْفَى أَنَّ آيَةَ الذَّارِيَاتِ دَلَالَتُهَا أَخْفَى مِنْ دَلَالَةِ آيَةِ هُودَ الَّتِي عَطَفَتْ الْأَحْدَاثَ بِالْفَاءِ، وَلِهَذَا رَدَّ هَذَا الْقَوْلُ ابْنَ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ مُخَالَفٌ لِهَذَا السِّيَاقِ، فَإِنَّ الْبَشَارَةَ صَرِيحَةٌ مُرْتَبَةٌ عَلَى: ﴿٦٩﴾ وَأَمْرَانَهُ قَائِمَةً فَضَحِكْتَ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧٠﴾ [هود: ١٧]. فَهُوَ يَرَجِّحُ أَنَّ ضَحْكُهَا كَانَ لِهَلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ.

وَقَدْ يَسْأَلُ سَائِلٌ: لِمَ كَانَتِ الْبَشَارَةُ لِسَارَةٍ وَلَمْ يَقُلْ (فَبَشَّرْنَاهُمَا)؟ فَيَجِيبُ النَّسْفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَذَا التَّسْأُولِ بِأَنَّهُا خُصَّتْ بِالْبَشَارَةِ:

١- لِأَنَّ النِّسَاءَ أَعْظَمُ سُورًا بِالْوَلَدِ مِنَ الرِّجَالِ.

٢- وَلَأنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ، وَكَانَ لِإِبْرَاهِيمَ وَلَدٌ وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ <sup>(١)</sup>.

(١) انظر: معالم التنزيل (ج ٢/ ص ٤٥٦)، الكشف (٢/ ٣٢٠)، المحرر الوجيز (ج ٤/ ص ٦٠٦)، الجامع لأحكام القرآن (ج ٩/ ص ٥٩)، مدارك التنزيل (ص ٥٠٥) تفسير القرآن العظيم (ج ٢/ ص ١١٦٣)،

والخلاصة: أن الفرح بالولد، والشوق إلى الذرية أمر فطري، وهو فرح مباح، إلا:

- إن كان الدافع له مرضيا عند الله فيصير محمودا، أو مكروها عنده سبحانه وتعالى فيصير مذموما.

- وكذلك ما لم يكن أثر الفرح بالولد مرضيا أو مكروها فيكون محمودا أو مكروها.

**المثال الثاني: صورة للفرح بالولد، كيف صار محمودا بسبب الدافع:**

ومن طلب الولد لدافع مرضي عند الله ما ذكرنا من قصة زكريا عليه السلام، ومنه كذلك قول سليمان عليه الصلاة والسلام: «لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله..» الحديث<sup>(١)</sup>.

وهذا قاله على سبيل التمني للخير - كما نبه عليه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى - وأنه إنما جزم به لأنه غلب عليه الرجاء لكونه قصد به الخير وأمر الآخرة لا لغرض الدنيا.. وذكر في الحديث من الفوائد:

- فضل فعل الخير وتعاطي أسبابه.

- وأن كثيرا من المباح والملاذ يصير مستحبا بالنية والقصد<sup>(٢)</sup>.

التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٢ / ص ٢٠٤)، تفسير الجلالين (ص ٢٢٩)، جامع البيان للإيجي (ص ٤٣٦)، التحرير والتنوير (ج ١٢ / ص ١١٦ - ١١٩)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٥٢٦)، في ظلال القرآن (ج ٤ / ص ١٩١٢).

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء (ح ٣٤٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) انظر: فتح الباري (ج ٦ / ص ٤٦١).

### المثال الثالث: صورة لتحوّله إلى فرح مذموم بسبب أثره:

ومن الفرح المذموم بالولد ما ذكره الله من إنعامه على الوليد بن المغيرة بكثرة الولد وحضورهم بين يديه، يستعز بهم، وكيف أن ذلك غره بدل أن يكون سببا لشكر الله على نعمه، قال الله عز وجل: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ وَمَهَدْتُ لَهُ تَمَهِيدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥﴾ [المدرثر: ١١-١٦].

قال ابن عطية: ولا خلاف بين المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي.

فهو يذكره بخلقته في بطن أمه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد، مجرداً من كل شيء آخر مما يعتز به من مال كثير ممدود وبنين حاضرين شهوداً بمكة، لَا يَطْعُنُونَ عَنْهُ فِي تِجَارَةٍ وَلَا يَغِيبُونَ عَنْهُ، بل مواليتهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم، يتمتع بهم ويتملّئ بهم، وكانوا سبعة أو عشرة، على خلاف في عددهم. فذكر الله منته عليه باجتماع أولاده عنده:

- فهو مستأنس بهم لا يشتغل بألّه بمغيبهم وخوف معاطب السفر عليهم.

- وكانوا يغنى عن طلب الرزق بتجارة أو غارة.

- وكانوا يشهدون معه المحافل، فكانوا فخراً له يقضي بهم حوائجه، ويستنصر بهم، وتُسمع شهاداتهم.

وكان في نعم يتبطر بها ويختال ويطلب المزيد، ويتوعدده الله بقوله سبحانه: ﴿ذَرْنِي﴾ فأنا أكفي عقابه وشأنه كله، خُلّ بيني وبينه ولا تشغل بالك بمكره وكيده، فأنا سأتولى حربه.

ويطيل النص في وصف حال هذا المخلوق، وما آتاه الله من نعمه وآلائه، قبل أن يذكر إغراضه وعناده، ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ وهذا وصف لجشع الوليد وطمعه أن يزيد الله في ماله وولده من غير شكر!! وطمعه كذلك في دخول الجنة، وَكَانَ الْوَلِيدُ يَقُولُ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا فَمَا خُلِقَتِ الْجَنَّةُ إِلَّا لِي.

وجواب الله عز وجل: ﴿كَلَّا﴾ لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم، فَلَمْ يَزَلْ يَرَى النَّقْصَانَ فِي مَالِهِ وَوَلَدِهِ حَتَّى هَلَكَ.. مع ما توعدده من العذاب يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

فهذه صورة جليلة للفرح بالولد كيف صار فرحا مذموما بسبب نسيان الاعتراف بنعمة الله، فكان أثر ذلك على سلوكه بطراً واستكباراً على الله سبحانه وتعالى وعلى شرعه، وكان جزاؤه سلب النعمة منه في الدنيا شيئاً فشيئاً، والسُّبَّة التي لحقته طول الدهر، والعذاب الذي أُعد له، نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

(١) انظر: معالم التنزيل (ج ٥ / ص ١٧٥)، المحرر الوجيز (ج ٨ / ص ٤٥٥)، الجامع لأحكام القرآن (ج ١٩ / ص ٦٥ وما بعدها)، مدارك التنزيل (ص ١٢٩٧)، تفسير القرآن العظيم (ج ٤ / ص ٢٤٢٨)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٤ / ص ٢٩٩)، تفسير الجلالين (ص ٥٧٦)، التحرير والتنوير (ج ٢٩ / ص ٣٠٤)، تيسير الكريم الرحمن (ص ١٢٦٣)، في ظلال القرآن (ج ٦ / ص ٣٧٥٦).





## المبحث الثالث

### الفرح بالعلم

العلم من أشرف ما يتحلى به الإنسان، وإنما كانت كرامة آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بالعلم، ولما ظهر للملائكة ما خصه الله دونهم من العلم؛ أمرهم بالسجود له.

والفرح بالعلم من صور الفرح المباح، ويصير فرحا محمودا أو مذموما بحسب الدافع النفسي له أو الأثر السلوكي الناشئ عنه، ويتضح هذا من خلال المطالب الآتية:

#### المطلب الأول: الفرح بالمحمود بالعلم:

لقد نُقل لنا عن رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم الفرح بالمسألة والمسألتين من العلم يعرفونها، ولنكتف بمثالين على ذلك:

**المثال الأول:**

عن عامر الشعبي رحمه الله قال: قدمت المدينة فأتيت فاطمة بنت قيس فحدثتني: أن زوجها طلقها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم... وذكر قصتها، قال: فلما أردت أن أخرج قالت: اجلس حتى أحدثك حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الأيام فصلّى صلاة الهاجرة، ثم قعد ففزع الناس، فقال: «اجلسوا أيها الناس، فإنني لم أقم مقامي هذا

لفزع، ولكن تميما الداري أتاني فأخبرني خبرا منعني القيلولة من الفرح وقرة العين، فأحببت أن أنشر عليكم فرح نبيكم صلى الله عليه وسلم.... ثم ذكر حديث الجساسة الطويل<sup>(١)</sup>.

وقوله: «من الفرح وقرة العين»: لأنه يظهر به صدقه في دعوى النبوة، وكذا فيما كان يخبرهم به من أمر الدجال، وظهر به شرف بلده صلى الله عليه وآله وسلم<sup>(٢)</sup>.

### المثال الثاني:

عن علقمة بن قيس أن عبد الله بن مسعود أتاه قوم فقالوا: إن رجلا منا تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقا، ولم يجمعها إليه حتى مات، فقال عبد الله: ما سئلت منذ فارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد عليّ من هذه، فأتوا غيري. فاختلفوا إليه فيها شهرا، ثم قالوا له في آخر ذلك: من نسأل إن لم نسألك، وأنت من جلة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بهذا البلد ولا نجد غيرك؟ قال: سأقول فيها بجهد رأيي، فإن كان صوابا فمن الله وحده لا شريك له، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه برآء.

أرى أن أجعل لها صداق نساءها، لا وكس ولا شطط، ولها الميراث، وعليها العدة أربعة أشهر وعشرا، قال: وذلك بسمع أناس من أشجع، فقاموا فقالوا: نشهد أنك قضيت بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأة منا يقال لها:

(١) مسند أحمد (ج ٦ / ص ٣٧٣)، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن (ح ٤٠٧٤)، وصححه الأرئوط في تحقيق/ المسند (ج ٤٥ / ص ٥٩)، والحديث في صحيح مسلم، كتاب الفتن (ح ٢٩٤٢) دون عبارة «منعني القيلولة...» التي هي شاهد القصة في مبحثنا.

(٢) حاشية مسند الإمام أحمد، لأبي الحسن السُّندي (ت ١١٣٨هـ)، (ج ١٥ / ص ٣٤).

بَرَّوع بنت واشق.

قال: «فما رأيي عبد الله فرح فرحة يومئذ إلا بإسلامه»<sup>(١)</sup>.

فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرح بالمسألة من العلم كان أخبر الصحابة رضي الله عنهم بها من قبل، ثم وجدها عند غيره ليزداد الذين آمنوا إيماناً.. وابن مسعود رضي الله عنه فرح عندما علم أن فتواه كانت موافقة لسنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فكل ذلك فرح محمود؛ لأنه فرح بما يحبه الله ويرضاه.

قال ابن المقفع: «مما يدل على علم العالم معرفته بما يدرك من الأمور، وإمساكه عما لا يدرك، وتزيينه نفسه بالمكارم، وظهور علمه للناس من غير أن يظهر منه فخر ولا عجب، ومعرفته زمانه الذي هو فيه، وبصره بالناس، وأخذه بالقسط، وإرشاده المسترشد، وحسن مخالفته خلطاءه، وتسويته بين قلبه ولسانه، وتحريه العدل في كل أمر، ورحب ذرعه فيما نابه، واحتجاجه بالحجج فيما عمل، وحسن تبصيره.

من أراد أن يبصر شيئاً من علم الآخرة فبالعلم الذي يعرف به ذلك. ومن أراد أن يبصر شيئاً من علم الدنيا فبالأشياء التي هي تدل عليه»<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثاني: الفرح المذموم بالعلم:

يصير الفرح بالعلم مذموماً إذا كان الدافع له مذموماً أو كان أثره مذموماً، وله صور عديدة، لعل من أبرزها ما يلي:

(١) سنن النسائي. كتاب النكاح (ح ٣٣٥٨)، ومستدرک الحاكم (ج ٢ / ص ١٨٠) وقال: صحيح على شرط

مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) الأدب الصغير (ص ٤٣).

### الصورة الأولى: استعمال العلم فيما لا ينبغي:

وهو من الآثار المذمومة للفرح بالعلم، قال ابن مسكويه: الحكمة وسط بين السفه والبله. وأعني بالسهف ههنا استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغي، وأعني بالبله تعطيل هذه القوة وإهمالها بالإرادة لا لنقصان الخلقة<sup>(١)</sup>.

١ - ومثالها في سورة الأعراف في قول الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْعَٰوِينَ ۝١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَخِلَّ ٱلْكَلْبُ ٱنْ تَحِمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثٌ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ بِءَايَاتِنَا فَٱقْصُصْ ٱلْقَصَصَ لَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

عن عبد الله بن مسعود: قال: هو بلعم، أو قال: بلعام بن باعوراء.. وعن عبد الله بن عمرو قال: نزلت هذه الآية في أمية بن أبي السلط الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها<sup>(٢)</sup>.

- أما أمية فقد كان قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله جل وعز، ووجد الله، وكان يخبر بأن نبيا من العرب يُبعث قد أظل زمانه، ويؤمل أن يكون ذلك النبي، فلما بلغه خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ كفر حسداً له.

بل استعمل شعره وعلمه في محاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ففي «الأغاني» أنه رثى من قُتل من قريش في بدر، وحرّض قريشاً على حرب النبي<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: تهذيب الأخلاق لمسكويه (ص ٢٧) الشخصية (ص ٩٧).

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧ / ٢٥) وقال عن كل رواية منهما: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) انظر: الشعر والشعراء. ابن قتيبة (١ / ٤٥٠)، الأغاني (٤ / ٩٧ - ٩٨).

فكان إعجابه وفرحه بما عنده من العلم بالكتب السابقة سببا لاستعمال علمه في الباطل.

- وأما بلعام فقد كان عالماً، فاستخدم علمه في محاربة المؤمنين من بني إسرائيل في زمانه، قال الله: ﴿وَاتْلُ فَأَنسَلْخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزّه إلى المعاصي أژاً.

والدافع له على ذلك هو ركونه إلى الدنيا وإيثارها على الآخرة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ سكن إلى الحياة الدنيا في الأرض، ومال إليها، وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة. ﴿وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾ ورفض طاعة الله وخالف أمره<sup>(١)</sup>.

وهذه نتيجة العلم بغير إيمان، يجني منه الناس الشر أكثر مما يجنون من الخير.

٢- ومثالها في واقعنا ما يراه العالم اليوم من أن «التقدم العلمي الحديث لم يحل دون وقوع كارثتين عالميتين خلال نصف قرن من الزمان، وعشرات الحروب بعد ذلك إلى يومنا هذا.. والسلام يتطلب تغيير القيم الخلقية الأساسية لأفراد المجتمع، وتعديل بعض دوافعهم وأهدافهم»<sup>(٢)</sup>.

ويتكرر اليوم هذا الفرح بالعلم الذي يوصل لدرجة الطغيان، ويغري أصحابه بالعدوان على البشرية كلها واستعبادها، ونحن نرى هذه «الثورة الصناعية وما

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣ / ٢٥٧ - ٢٥٩) طبعة التركي، تيسير الكريم الرحمن (ص ٣٠٨) طبعة الرسالة.

(٢) انظر: أصول علم النفس (ص ٣٤).

تبعها من:

أ- كشوفات ومنجزات، وما ترتب عليها من تقنيات كانت من أسباب تملك أزمّة القوة المادية، وتحقيق الحياة الرغدة والرفاهية.. ولكون ذلك ترافق مع نزعات علمانية وإلحادية؛ فقد قوى من شأن تلك المذاهب ورفع بين الغربيين من قدرها.

ب- كما أنه -في ذات الوقت- قد حقق التفوق العسكري الغربي، وهو ما مكن من استعمار طويل لكثير من البلاد والعباد.. ولما كانت عقيدة الصراع تمثل عقدة كبرى في منظومة الفكر والقيم الغربية؛ فقد دعمت التقنية -بشكل مباشر- هذه التوجهات، وتحولت التقنية إلى فتنة حقيقية للغرب حين حملتهم على الإلحاد حملاً، وإنكار الأديان المعتمدة على الوحي الإلهي والإيمان بالغيب<sup>(١)</sup>.

### الصورة الثانية: طلب العلم لغرض مادي بحت:

وهو أن يكون الهدف المادي هو مقصد المتعلم فحسب، يقول الإبراشي رحمه الله: ولسنا في شك مطلقاً من أن العلم أكبر قوة في يد الإنسان، ولكننا في حاجة إلى العلم الذي يؤدي إلى الانتفاع به عملياً؛ فالعلم بلا عمل لا خير فيه، مثله مثل شجرة بغير ثمر.. هذا هو المقياس الذي يقاس به العلم ويحكم به على العلوم اليوم.

ولا عجب، فبعد أن كان العلم يطلب حبا للعلم ذاته؛ أصبحنا لا نفكر إلا

(١) انظر: قراءة في الاستراتيجية الغربية لحرب الإسلام بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م (ص ٤٠-٤١).

في الماديات !! وأصبحت العلوم التي لا تؤدي إلى أكل الخبز ينظر إليها نظرة تشكك في الإقبال عليها، ويكثر الإقبال على العلم أو المهنة بقدر ما يمكن أن تُدرّه من المال في أقصر وقت.

هذا هو مقياس الإقبال على العلم الآن، وهذا هو الرأي السائد بين الأكثرية من المربين والمتعلمين في الأمم المتمدينة<sup>(١)</sup>. ا.هـ. مختصراً.

وهذه النظرة للعلم سبب لأدواء كثيرة منها:

١- الأنانية.

٢- وعدم الإخلاص في تعلم العلم ولا في الوظيفة.

٣- ونسيان الآخرة.

٤- وإمكانية عمل ما يدر المال ولو كان فيه ظلم للغير ومخالفة للشرع.

٥- والزحام على تخصصات محدودة، مع ترك فرض الكفاية في التخصصات التي تحتاجها الأمة.

**الصورة الثالثة: الاغترار بالعلم لدرجة رد الحق:**

والسبب أنه إذا لم يكن مع العلم تهذيب؛ أصاب صاحبه الغرور والعجب، ثم التعالي والكبر، فردّ الحق؛ بحجة أنه يعرفه، ولا يحتاج إلى من يعلمه إياه.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءِثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [غافر: ٢٨] وآثارهم في الأرض تدل على ما بلغوه من العلم والتحضر.

(١) الشخصية (١٤٧-١٤٨) ثم دعا إلى التوازن بين الروح والمادة.



﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [غافر: ٨٣] ويدخل فيه صور عديدة منها:

١- قول المفسرين: ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها، وظنوا أنه لا آخرة، كما قال: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴾ [الروم: ٧]، فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات، وهي أبعد شيء من علمهم؛ لبعثها على رفض الدنيا والمنع عن الملاذ والشهوات؛ لم يلتفتوا إليها، وصغروها واستهزأوا بها، واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به.

٢- ويدخل فيه علم الفلاسفة والدهريين، فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم. وقد ذكر الزمخشري رحمه الله أن سقراط<sup>(١)</sup> سمع بموسى عليه السلام وقيل له: لو هاجرت إليه فقال: نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا<sup>(٢)</sup>.

٣- والثورة الصناعية الكبرى جعلت الغرب ينظرون لغيرهم من الأمم والشعوب نظرة دونية، ومثل هذا فتنة من جهة أخرى، حيث عزوا تخلف الأمم -ومنها الأمة المسلمة- إلى ارتباطهم بالدين وتمسكهم به، دون التعويل على عقلانية ومنطقية موروثة عن اليونان.. وعليه فإن الفكر الخرافي عند غيرهم هو

(١) فيلسوف يوناني، ولد في أثينا وعلم فيها فأحدث ثورة في الفلسفة بأسلوبه وفكره، حكم عليه بالإعدام فشرب السم في سجنه ومات في حدود سنة ٣٩٩ ق.م. انظر: المنجد في اللغة والأعلام (ج ٢/ ص ٣٠٢). وإذا كانت وفاته كما ذكر هنا فإن القصة لا تصح؛ لتقدم زمن موسى صلى الله عليه وسلم على ذلك بقرون.

(٢) الكشف (ج ٤/ ص ١٤٢).

السبب في تخلفهم وتراجعهم»<sup>(١)</sup>.

ومهما كانت العلوم التي معهم، إذا كانت معارضة للعلم الذي فيه الهدى؛ فإنها لا تغني عن صاحبها شيئاً، قال السعدي: ومن المعلوم أن فرحهم به يدل على:

- شدة رضاهم به، وتمسكهم.

- ومعاداة الحق، الذي جاءت به الرسل.

- وجعل باطلهم حقاً، وهذا عام لجميع العلوم التي نوقض بها ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا: علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي:

١- رُدَّتْ به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره في القلوب.

٢- وجعلت أدلته اليقينية القاطعة أدلة لفظية، لا تفيد شيئاً من اليقين.

٣- ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله، والمعارضة لها، والمناقضة، فإله المستعان<sup>(٢)</sup>.

فالعلم بغير إيمان فتنة تُعمي وتطغي - كما قال سيد - ذلك أن هذا اللون من العلم الظاهري يوحى بالغرور؛ إذ يحسب صاحبه أنه يتحكم بعلمه هذا في قوى ضخمة، ويملك مقدرات عظيمة! فيتجاوز بنفسه قدرها ومكانها، وينسى الآماد

(١) انظر: قراءة في الاستراتيجية الغربية لحرب الإسلام بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م (ص ٤٠-٤١).

(٢) انظر: معالم التنزيل (ج ٤ / ص ١٢٣)، المحرر الوجيز (ج ٧ / ص ٤٦٠)، الجامع لأحكام القرآن (ج ١٥ / ص ٢٩٣)، مدارك التنزيل (ص ٩٠٢)، تفسير القرآن العظيم (ج ٤ / ص ٢٠٥٠ - ٢٠٥١)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٣ / ص ٢٢٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص ١٠٤٥، ٧١٠)، في ظلال القرآن (ج ٥ / ص ٣١٠١).

الهائلة التي يجهلها، وهي موجودة في هذا الكون، ولا سلطان له عليها، بل لا إحاطة له بها، بل لا معرفة له بغير أطرافها القريبة. وبذلك يتنفخ فيأخذ أكثر من حقيقته، ويستخفه علمه وينسى جهله.

وهؤلاء فرحوا بما عندهم من العلم واستهزؤوا بمن يذكّرهم بما وراءه<sup>(١)</sup>.  
وأساطين العلم الحديث إذا تأملوا عرفوا أن علمهم تعليم من الله، يقول هنري مارغناو في كتابه «الله من خلق قوانين الطبيعة»: يحتاج العلم للدين لكي يفسر أصله ونجاحاته، وقد ناقشت وجهة النظر هذه مع آينشتاين عندما قمت ببحث في معهد الدراسات المتقدمة في برنستون عام ١٩٣٢ وأذكر تعليقه: «إن اكتشاف قانون أساسي مؤكد في الطبيعة هو إلهام من الله»<sup>(٢)</sup>.

وإذا رجعنا إلى الصف المسلم وجدنا أن السعدي رحمه الله تعالى يجعل أهل البدع والأهواء الذين فرحوا بما عندهم من معلومات، فدعوا إليها، وزعموا أنهم محقون وغيرهم مبطلون، يجعلهم داخلين في مفهوم قول الله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨]<sup>(٣)</sup>.

#### الصورة الرابعة: طلب العلم الذي لا ينفع، وقد يضر:

فالعلم وإن كان شريفاً في أصله، لكن من أنواعه ما لا يستحق أن يُفرح به، بل إن الجهل به أنفع للإنسان منه، لأنه علم كالجهل، وهذا النوع من العلم في حكم العدم.

(١) في ظلال القرآن (ج ٥ / ص ٣١٠١).

(٢) عن كتاب: الإيمان بالخالق والعلم. تأليف جوردن ليدنر. ترجمة مركز دلائل (ص ٢٩).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص ١٤٣).

## \* آية تنفي العلم عن أكثر الناس:

وقد نفى الله عن أكثر الناس العلم ثم أثبت لهم علما ظاهريا؛ قال سبحانه:  
﴿... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿[الروم: ٦-٧].

فلو قاس الإنسان ما يعلم إلى ما يجهل، وما يقدر عليه في هذا الكون إلى ما يعجز حتى عن إدراك سره؛ لطامن من كبريائه، وخفف من فرحه الذي يستخفه.<sup>(١)</sup>  
وكأن علمهم جهل، أي: لا يعلمون بحكم الله في كونه وأفعاله المحكمة الجارية على وفق العدل، ولا يتعمقون في سنن الحياة الثابتة، وقوانينها الأصيلة، ولا يدركون نواميسها الكبرى وارتباطاتها الوثيقة، وإنما ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني: أمر معاشهم، كيف يكتسبون ويتجرون، ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون، وكيف يبنون ويعيشون.. فأكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها، فهم حذاق أذكاء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، والخلل ليس فيما يعلمونه، ولكن في غفلتهم عن آخرتهم التي إليها يرجعون فيخلدون في نعيم دائم أو جحيم دائم.

وهذه العلوم لو قارنها بالإيمان وبنيت عليه؛ لأثمرت الرقي العالی والحياة الطيبة، ولكنها لما بني كثير منها على الإلحاد لم تثمر إلا هبوط الأخلاق وأسباب الفناء والتدمير.<sup>(٢)</sup>

(١) في ظلال القرآن (ج ٥، ص ٣١٠١).

(٢) انظر: معالم التنزيل (ج ٣/ ص ٥٧١)، تفسير القرآن العظيم (ج ٣/ ص ١٧٩٢)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٩٢).

فهم ينظرون إلى الأسباب، فهم واقفون معها غير ناظرين إلى مسببها المتصرف فيها.

يقول سيد رحمه الله: وظاهر الحياة الدنيا محدود صغير، مهما بدا للناس واسعاً شاملاً، يستغرق جهودهم بعضه، ولا يستقصونه في حياتهم المحدودة.. والحياة كلها طرف صغير من هذا الوجود الهائل، تحكمه نواميس وسنن مستكنة في كيان هذا الوجود وتركيبه.

وأكثر الناس كذلك؛ لأن الإيمان الحق هو وحده الذي يصل ظاهر الحياة بأسرار الوجود؛ وهو الذي يمنح العلم روحه المدرك لأسرار الوجود. والمؤمنون هذا الإيمان قلة في مجموع الناس. ومن ثم تظل الأكثرية محجوبة عن المعرفة الحقيقية<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾.

قال الحسن: إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطئ، وهو لا يحسن يصلي!! ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ ساهون عنها جاهلون بها، لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها.

قد توجهت قلوبهم وأهواؤهم وإراداتهم إلى الدنيا وشهواتها وحطامها، فعملت لها وسعت، وأقبلت بها وأدبرت، وغفلت عن الآخرة:

- فلا الجنة تشاق إليها.

- ولا النار تخافها وتخشاها.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (ج ٣ / ص ١٧٩٢)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٩٢)، في ظلال القرآن (ج ٥ / ص ٢٧٥٨ - ٢٧٥٩).

- ولا المقام بين يدي الله ولقائه يروعها ويزعجها. وهذا علامة الشقاء وعنوان الغفلة عن الآخرة<sup>(١)</sup>.

فالآخرة حلقة في سلسلة النشأة، وصفحة من صفحات الوجود الكثيرة. والذين لا يدركون حكمة النشأة، ولا يدركون ناموس الوجود يغفلون عن الآخرة، ولا يقدرونها قدرها، ولا يحسبون حسابها، ولا يعرفون أنها نقطة في خط سير الوجود، لا تتخلف مطلقاً ولا تحيد.

والغفلة عن الآخرة تجعل كل مقاييس الغافلين تختل؛ وتؤرجح في أكنفهم ميزان القِيم؛ فلا يملكون تصور الحياة وأحداثها وقيمها تصوراً صحيحاً، ويظل علمهم بها ظاهراً سطحياً ناقصاً؛ لأن حساب الآخرة في ضمير الإنسان يغير نظرتة لكل ما يقع في هذه الأرض:

- فحياته على الأرض إن هي إلا مرحلة قصيرة من رحلته الطويلة في الكون.

- ونصيبه في هذه الأرض إن هو إلا قدر زهيد من نصيبه الضخم في الوجود.

- والأحداث والأحوال التي تتم في هذه الأرض إن هي إلا فصل صغير من الرواية الكبيرة.

ولا ينبغي أن يبني الإنسان حكمه على مرحلة قصيرة من الرحلة الطويلة، وقدر زهيد من النصيب الضخم، وفصل صغير من الرواية الكبيرة!

ومن ثم لا يلتقي إنسان يؤمن بالآخرة ويحسب حسابها، مع آخر يعيش لهذه الدنيا وحدها ولا ينتظر ما وراءها:

(١) انظر المراجع السابقة.

- لا يلتقي هذا وذاك في تقدير أمر واحد من أمور هذه الحياة.
- ولا قيمة واحدة من قيمها الكثيرة.
- ولا يتفقان في حكم واحد على حادث أو حالة أو شأن من الشؤون.
- فلكل منهما ميزان، ولكل منهما زاوية للنظر، ولكل منهما ضوء يرى عليه الأشياء والأحداث والقيم والأحوال.. هذا يرى ظاهراً من الحياة الدنيا؛ وذلك يدرك ما وراء الظاهر من روابط وسنن، ونواميس شاملة:
- ١- للظاهر والباطن، والغيب والشهادة.
- ٢- والدنيا والآخرة، والموت والحياة.
- ٣- والماضي والحاضر والمستقبل.
- ٤- وعالم الناس والعالم الأكبر الذي يشمل الأحياء وغير الأحياء.
- وهذا هو الأفق البعيد الواسع الشامل الذي ينقل الإسلام البشرية إليه؛ ويرفعها فيه إلى المكان الكريم اللائق بالإنسان. الخليفة في الأرض. المستخلف بحكم ما في كيانه من روح الله<sup>(١)</sup>.

### \* حديث يحكم على بعض العلوم بالجهل:

وقد رُوي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إِنَّ مِنْ الْعِلْمِ جَهْلًا»<sup>(٢)</sup> أي:

- ١- لكونه علماً مذموماً، والجهل به خير منه. قاله المناوي، فيتعلم ما لا حاجة إليه، كالنجوم وعلوم الأوائل، ويدع ما يحتاج إليه في دينه من علم القرآن

(١) في ظلال القرآن (ج ٥ / ص ٢٧٥٩).

(٢) عن بريدة رضي الله عنه في سنن أبي داود، كتاب الأدب (ج ٥٠١٢) وضعفه الألباني.

والسنة. قاله ابن الأثير.

٢- وقيل: هو أن لا يعمل بعلمه فيكون ترك العمل بالعلم جهلاً. ذكره في عون المعبود.

٣- وقال صعصعة بن صوحان بعد هذا الحديث في أبي داود ما معناه: هو أن يتكلف العالم القول فيما لا يعلمه فيُجهِّله ذلك». <sup>(١)</sup>  
فالعلم المذموم:

- يفتح أبواب الجدل العقيم.

- ويشق للجهلة طرق الضلال والعماية.

- ويحرم المرء من إدراك مقصود العلم النافع وهو: معرفة الحق الواجب من الباطل المهلك، ومعرفة المحق من المبطل.

**\* عالم يمني يكشف سر الضلال في العلم:**

وقد أحببت أن أنقل حول ذلك من كلام علامة اليمن ابن الوزير رحمه الله تعالى <sup>(٢)</sup> حيث يقول: إن الذي وسَّع دائرة المرء والضلال هو:

١- البحث عما لا يُعلم، والسعي فيما لا يدرك، وطول السير والسعي في الطريق التي لا توصل إلى المطلوب.

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ج ١/ ص ٣٢٢)، التيسير للمناوي (ج ١/ ص ٣٤٥) عون المعبود (ج ١٣، ص ٢٤١، ٢٤٢).

(٢) هو الإمام الكبير المجتهد المطلق المعروف بابن الوزير السيد محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى، يصل نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم جميعاً، (٧٧٥ هـ - ٨٤٠ هـ) قرأ على أكابر مشايخ صنعاء وصعدة وسائر المداين اليمنية ومكة، وتبحر في جميع العلوم وفاق الأقران واشتهر صيته وبعد ذكره وطار علمه في الأقطار، قال الشوكاني: ولو قلت ان اليمن لم ينجب مثله لم أبعد عن الصواب. انظر البدر الطالع (ص ٦٣٦ - ٦٤٧).



٢- والاقتداء بمن يُظنّ فيه الإصابة وهو مخطئ.

٣- والاشتغال بالبحث عن الدقائق التي:

أ- لا طريق إلى معرفتها.

ب- ولا يوصل البحث عنها إلى اليقين ولا إلى الوفاق.

ج- ولا ظهرت للخوض فيها -مع طوله- ثمرة نافعة، لا باليقين صادعة ولا للافتراق جامعة.

د- ولا روي عن أحد من الأنبياء عليهم السلام، ولا صح عن أحد من السلف الكرام<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر الأدلة الجلية على أن العلوم ليست كلها محمودة فقال:

وربما انقطع هذا العمر القصير في تلك الطرق البعيدة قبل البلوغ إلى المقصود بها، وهو: معرفة الحق الواجب من الباطل المهلك، ومعرفة المحق من المبطل.. وليس الطلب لكل علم بمحمود، ولا كل مطلوب بموجود، أما الثانية فوفاقية.. وأما الأولى فعقلا وسمعا:

- أما العقل: فإنه لا يحسن قطع الأوقات في وزن الحجارة وكيل التراب ونحو ذلك مما لا يفيد؛ والعلة أنه عبث ولعب لا يضر ولا ينفع، فكيف بما يضر أو لا يؤمن أنه يضر!!

- وأما السمع:

١- فقد قال تعالى في متعلمي السحر أنهم: ﴿وَيَعْلَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

يَنْفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(١) إيثار الحق على الخلق (ص ٤ - ٥) مختصراً.

٢- وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ [غافر ٨٣]، والآية تقتضي ذم علمهم وذمهم به.

٣- وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ ﴾ [الأنعام: ٩].

٤- وعلم آدم الأسماء دون الملائكة.

٥- وآتانا من العلم قليلا مع قدرته على أن يؤتينا كثيرا، فقال في ذلك: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء ٨٥]، يوضحه قول الخضر لموسى عليهما السلام: «ما علمي وعلمك وعلم جميع الخلائق في علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من هذا البحر»<sup>(١)</sup> وقال لموسى: «أنا على علم من علم الله لا ينبغي لك أن تعلمه، وأنت على علم من علم الله لا ينبغي لي أن أعمله»<sup>(٢)</sup>.

ومن عجيب ما ذكره ابن الوزير أن الجهل بالشيء قد يكون أكثر فائدة من العلم به، فقال رحمه الله:

١- ولذلك ذم الله الذين في قلوبهم زيغ بابتغاء تأويل المتشابه، ومدح الراسخين بالاعتراف بالعجز.

٢- وذم اليهود على تعاطي ما لم يعلموا، فقال تعالى: ﴿ هَتَأْتُمْ هَتُوءًا حَاجِبَتُمْ فِيْمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [آل عمران ٦٦].

٣- ومن ذلك أن الله تعالى أرى رسوله والمسلمين يوم بدر الكثير من المشركين قليلا في المنام ثم في اليقظة؛ للمصلحة.

(١) صحيح البخاري، أحديث الأنبياء (ح ٣٤٠١) عن أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعا بنحوه.

(٢) إيثار الحق على الخلق (ص ٥).

٤- وقال سبحانه في الساعة: ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه: ١٥]، أي أخفي علمها الجملي، وأما تعيين وقتها فقد أخفاه من الخلق كما قال: ﴿ثُقُلْتَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ﴾ [الأعراف: ٧٨١] وكفى بذلك حجة صادقة على أن المصلحة للخلق قد تعلّق بجهل بعض العلوم، ولأن حكمة الله وحكمه الذي لا يغالب قد يقتضي ذلك عموماً كما اقتضت كتم الآجال على الأكثرين.

٥- وجاء في الحديث الصحيح أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه أوّل رؤيا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: «أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً» فسأله بيان ما أصاب فيه وما أخطأ، فأبى عليه!! فقال: أقسمت عليك إلا ما أخبرتني، فقال: «لا تقسم»<sup>(١)</sup>.. فهذا مع إكرامه له وأنه على خلق عظيم - كما قال الله تعالى - فلو لا أن الجاهل ببعض الأمور قد يكون راجحاً أو واجباً لما تخلف عن إخباره بعد هذا الإلحاح الكثير من هذا الصاحب الكبير.

فدل على أنه ليس في كل علم صلاح العباد - وإن قدرنا أنه يحصل من غير خطأ ولا تعب ولا خطر - فكيف مع خوف الفوت والخطر العظيم والتعب الشديد، بل هو مع تحقق ذلك في حق الأكثرين بالتجارب الضرورية.. الخ<sup>(٢)</sup>.

ثم ذكر أمثلة لعلماء كبار تراجعوا عن الخوض في علوم ظنوها نافعة واكتشفوا في آخر الطريق أنها سراب، فقال:

(١) صحيح البخاري كتاب التعبير (ح ٧٠٤٦) صحيح مسلم كتاب الرؤيا (ح ٢٢٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) إيثار الحق على الخلق (ص ٦-٧) مختصراً.

وفي شعر العلامة ابن أبي الحديد المعتزلي<sup>(١)</sup> -وقد حكى كثرة بحثه في علم الكلام -حتى قال:

وَأَسْأَلُ الْمَلَلَ الَّتِي اخْتَلَفَتْ      فِي الدِّينِ حَتَّى عَابَدَ الْوَثْنَ  
وَحَسِبْتُ أَنِّي بِالْبَغِ أَمْلِي      فِيمَا طَلَبْتُ وَمَبْرَأُ شَجْنِي  
فَإِذَا الَّذِي اسْتَكْثَرْتُ مِنْهُ هُوَ الْـ      جَانِي عَلَيَّ عِظَائِمَ الْمُحَنِ  
فَضَلَّلْتُ فِي تِيهِ بِلاَ عِلْمٍ      وَغَرَقْتُ فِي يَمٍ بِلاَ سَفْنٍ  
وقال الفخر الرازي<sup>(٢)</sup> في ذلك:

العلم للرحمن جل جلاله      وسواه في جهالاته يتغمغمُ  
ما للتراب وللعلوم وإنما      يسعى ليعلم أنه لا يعلمُ

(١) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين: (٥٨٦ - ٦٥٦ هـ) عالم بالأدب، من أعيان المعتزلة، له شعر جيد واطلاع واسع على التاريخ. ولد في المدائن، وانتقل إلى بغداد، وخدم في الدواوين السلطانية، وبرع في الإنشاء، وكان حظياً عند الوزير ابن العلقمي. انظر: الأعلام (ج ٣/ ص ٢٨٩).

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) الإمام المفسر. أُوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الري) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. الأعلام (ج ٦/ ص ٣١٣).

وقال صاحب نهاية الإقدام<sup>(١)</sup>:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها      وسيرتُ طرفي بين تلك المعالمِ  
فلم أرَ إلا واضعاً كفَّ حائِرٍ      على دَقْنٍ أو قارعاً سِنَّ نَادِمٍ

فهذا كلام سلاطين أئمة المعارف العقلية من فريقَي الملة الإسلامية<sup>(٢)</sup> هـ. المقصود، ويقصد بالفريقين المعتزلة والأشعرية والله أعلم.

وهو مبحث نفيس أحببت أن لا يفوت القارئ عرضه في هذا الموطن من كلام هذا الإمام المجتهد الذي قال عنه الشوكاني رحمه الله: والذي يغلب على الظن أن شيوخته لو جُمعوا جميعاً في ذات واحدة لم يبلغ علمهم إلى مقدار علمه، وناهيك بهذا<sup>(٣)</sup>.

خلاصة القول: أن العلم من أشرف ما يتحلى به الإنسان، ومن أحق ما يُفرح به، فإذا لم يكن مع العلم تهذيب؛ أصاب صاحبه الغرور والعجب، ثم التعالي والكبر؛ فردّ الحق، وتعدى على الناس بما يملكه من مقومات القوة التي أخذها من العلوم التي يتقنها، وكان علمه فتنة له.

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام لمحمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني: (٤٧٩ - ٥٤٨ هـ) من فلاسفة الاسلام. كان إماماً في علم الكلام وأديان الامم ومذاهب الفلاسفة. يلقب بالأفضل. ولد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم) وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠ هـ فأقام ثلاث سنين، وعاد إلى بلده. وتوفي بها.

قال ياقوت في وصفه: (الفيلسوف المتكلم، صاحب التصانيف، كان وافر الفضل، كامل العقل، ولولا تخبطه في الاعتقاد ومبالغته في نصرة مذاهب الفلاسفة والذب عنهم لكان هو الامام). الأعلام (ج ٦/ ص ٢١٥).

(٢) إيثار الحق على الخلق (ص ٤ - ٨) مختصراً.

(٣) البدر الطالع (ص ٦٤٦).

والعلوم لتكون نافعة لا بد أن يقارنها الإيمان وأن تبني عليه؛ حتى تثمر الرُّقيَّ  
العالي والحياة الطيبة، فإن بني شيء منها على الإلحاد لم تثمر إلا هبوط الأخلاق  
وأَسباب الفناء والتدمير.

والعلم المذموم يفتح أبواب الجدل العقيم، ويشق طرق الضلال والعمائية،  
ويحرم المرء من إدراك مقصود العلم النافع.  
فما دل على الحق والنفع للدنيا أو الآخرة فهو العلم النافع، وما عداه علوم  
ضارة.. فنسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما يعلمنا.



## المبحث الرابع

### الفرح بالقوة

من صور الفرح المباح: الفرح بالقوة، وهو فرح يصير فرحاً محموداً أو مذموماً بحسب الدافع أو الأثر، كسائر صور الفرح المباح، ويتضح هذا بالمطالعة الآتية:

#### المطلب الأول: تعريف القوة:

القوة نقيض الضعف، والجمع: قُوى وقوى.. والقوة معناها القدرة، نحو قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣] قال الراغب: ويستعمل ذلك: أ- في البدن تارة: نحو قوله: ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: ٩٥] فالقوة ههنا: قوة البدن؛ بدلالة أنه رغب عن القوة الخارجة فقال: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٥].

ب- وفي القلب أخرى: نحو قوله: ﴿يَبْحَثُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] أي: بقوة قلب، قال في اللسان: أي بجِدِّ وعون من الله، وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ أي: خذها بقوة في دينك وحجتك.

ج- وفي معاون من خارج تارة: نحو قوله: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [هود: ٨٠] قيل: معناه مَنْ أتقوى به من الجند، وما أتقوى به من المال، ونحو قوله: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسَ شَدِيدٍ﴾ [النمل: ٣٣]<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: المفردات في ألفاظ القرآن (ص ٦٩٤)، لسان العرب (ج ١٢/ ص ٢٢٩).



### المطلب الثاني: الفرح المحمود بالقوة:

وفرح الإنسان بالقوة التي أعطاه الله هو من الفرح المباح، وربما أُجر العبد عليه؛ لاحتسابه بما أعطاه الله من قوة في خدمة الناس، من نصرة مظلوم، وإغاثة ملهوف، ونحو ذلك.

وعندما نهى الله سبحانه المؤمنين عن الوهن والحزن، كان ذلك -والله أعلم- توجيهاً إلى ضدهما من التجلد والفرح بما أعطاهم الله من قوة يستخدمونها في طاعته ونصرة شريعته، قال الله تعالى للمسلمين بعد كسرة أحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

والوهن هو الضعف عن الجهاد؛ لما أصابهم من الهزيمة، والحزن على من قُتل منهم أو جرح، فإن الحزن في القلوب والوهن على الأبدان زيادة مصيبة عليهم، وعون لعدوهم عليهم، فأمرهم بأن: شجعوا قلوبكم وصبروها، وادفعوا عنها الحزن وتصلبوا على قتال عدوكم، وهو تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية لقلوبهم.

وذكر تعالى أنه لا ينبغي ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون:

- بالنصر والظفر في العاقبة، وهي بشارة لهم بالعلو والغلبة ﴿وَلَنْ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصفات: ١٧٣].

- أو وأنتم الأعلون شأنًا؛ لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته، وقاتلهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر.

- أو لأن قتالكم في الجنة وقتلاهم في النار.

وقوله سبحانه: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني أن صحة الإيمان توجب قوة

القلب والثقة بوعد الله وقلة المبالاة بأعدائه<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلتُ؛ كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان»<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: المراد بالقوة هنا عزيمة النفس، والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف:

- أكثر إقداماً على العدو في الجهاد، وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه.
- وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى.
- وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها، ونحو ذلك.

قال: (وفي كلٍّ خير) معناه: في كل من القوي والضعيف خير؛ لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات<sup>(٣)</sup> أ.هـ.

فإذا فرح الإنسان بقوته التي يتمكن بها من القيام بهذه الأعمال الصالحة؛ فإن فرحه من جنس الفرح الم محمود ومن جنس قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن».

(١) انظر: مدارك التنزيل (ص ١٨٧)، تيسير الكريم الرحمن (ص ١٤٩ - ١٥٠) طبعة الرسالة.

(٢) صحيح مسلم، آخر كتاب القدر، (ج ٢٦٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) شرح صحيح مسلم (ج ١٦ / ص ٢١٥).

### المطلب الثالث: الفرح المذموم بالقوة:

إن القوة إذا جرّت العبد إلى الغرور والعجب والتعالي والعدوان؛ فإن الفرح بها يدخل في حيز الفرح المذموم.. وقوم عاد أنموذج على ذلك، قال الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَّحْسُوتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [فصلت: ١٥-١٦].

وذكرت هاتان الآيتان الكريمتان أثر فرحهم بقوتهم، والدافع لهم على ذلك، وعلاجه لو أرادوا تزكية أنفسهم، وعاقبة فرحهم المذموم:

- فآثر فرحهم بقوتهم أنهم استكبروا فبغوا وعتوا وعصوا، فكانوا -مع كفرهم بالله، وجحدهم بآيات الله، وكفرهم برسله- مستكبرين في الأرض، قاهرين لمن حولهم من العباد، ظالمين لهم، قد أعجبتهم قوتهم.
- والدافع النفسي هو الكبر وشعورهم بأنه لا أحد أقوى منهم، فمّنوا بشدة تركيبتهم وقواهم، واعتقدوا أنهم يمتنعون به من بأس الله!

- وعلاج هذا الفرح المذموم بأن يتفكروا فيمن يبارزون بالعداوة؟ فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها، وإن بطشه شديد. فرد عليهم بما يعرفه كل أحد: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فلو لا خلقه إياهم؛ لم يوجدوا، فلو نظروا إلى هذه الحال نظرًا صحيحًا؛ لم يغتروا بقوتهم.

- وعاقبة غرورهم وكبرهم: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: شديدة قوية؛ لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم، وكانت باردة شديدة البرد جدا، كقوله تعالى: ﴿بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]، أي: باردة شديدة، وكانت ذات صوت مزعج<sup>(١)</sup>.

فدافع فرحهم الكبر، وأثره الظلم، وعلاجه النظر في موجد القوة لهم سبحانه.

فإذا أراد عبد أن يفرح بقوته؛ فإن عليه أن يتذكر نعمة الله عليه بالقوة، ثم يستعملها في طاعة الله وفي المباحات؛ شكراً لله على نعمته، وإذا غرته نفسه باستخدام قوته للمباهاة أو الظلم فليتذكر قوة الله وقدرته عليه.

ومن أمثلة التنبيه لقوة الله وقدرته ما في صحيح مسلم عن أبي مسعود البدرى رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعت صوتاً من خلفي، «اعلم، أبا مسعود»، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود»، قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: «اعلم، أبا مسعود، أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام»، قال: فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً. وفي رواية: فقلت: يا رسول الله، هو حر لوجه الله، فقال: «أما لو لم تفعل للفتحك النار»، أو «لمستك النار»<sup>(٢)</sup>.

وخلاصة هذا المبحث: أن الفرح بالقوة التي هي نقيض الضعف من الفرح المباح، مالم يحتسب صاحبها بما أعطاه الله من قوة في خدمة الناس، فإن فرحه

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (ج ٤ / ٢٠٥٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٧١٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (ج ١٦٥٩).

من الفرح المحمود الذي يؤجر عليه العبد، ومن جنس السرور بالحسنة.. وأن  
الغرور بالقوة يجعل الفرح بها مدموما؛ لما يؤدي إليه من آثار سيئة كنسيان المنعم  
بالقوة سبحانه، والعدوان بها على الضعفاء.

## المبحث الخامس

### الفرح بالمال

#### تمهيد:

المال عصب الحياة، وقد سماه الله سبحانه وتعالى خيراً في أكثر من موطن من القرآن الكريم:

- فقال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨] قال ابن كثير رحمه الله: وفيه مذهبان:

أحدهما: أن المعنى: وإنه لشديد المحبة للمال.

والثاني: وإنه لحريص بخيل؛ من محبة المال. وكلاهما صحيح.

ومال البغوي رحمه الله إلى الثاني فقال: أي إنه من أجل حب المال لبخيل. يقال للبخيل: شديد ومتشدد<sup>(١)</sup>.

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠].

قال البغوي: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ أي: مالا، نظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ٢٧٢]<sup>(٢)</sup>.

- وذكر الله سبحانه وتعالى أن هذا المال زينة في الدنيا - في معرض

(١) انظر: معالم التنزيل (ج ٥ / ص ٢٩٦)، تفسير القرآن العظيم (ج ٤ / ص ٢٥٤٥).

(٢) معالم التنزيل (ج ١ / ص ٢١٠).

الامتنان على خلقه - فقال عز وجل: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ  
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ  
وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

غير أن الفرح بالمال لا بد أن لا يتجاوز به المرء قدر المال وقيمته الحقيقية، ولا يقدمه على ما هو أهم منه.. وللحديث عن ذلك فهذه ثلاث مسائل مهمة متعلقة بالفرح بالمال في مطالب ثلاثة:

### المطلب الأول: الفرح بالمحمود بالمال:

يكون الفرح بالمال محموداً حين يصاحبه شكر الله على نعمته، ويترتب على الشكر صرف المال في ما يرضي الله من الواجبات والمندوبات والمباحات. ومن أعظم أمثله نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم، فإنه كان يدرك الفرق بينه وبين ملكة سبأ في العلاقة بالمال، فيقول الله تعالى عنه: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُمِدُّونِي بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ [النمل: ٣٦].

والظاهر - كما قال ابن كثير - أن سليمان، عليه السلام، لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلية، ولا اعتنى به، بل أعرض عنه، وقال منكرًا عليهم: ﴿ أُمِدُّونِي بِمَالٍ ﴾ وتصانعونني به لأترككم على شرككم وملككم؟! ﴿ فَمَا آتَيْنِي اللَّهُ ﴾ من الملك والمال والجنود ﴿ خَيْرٌ مِمَّا آتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ أي: أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف، لأنكم أهل مفاخرة في الدنيا ومكاثرة بها، فأما أنا فلا أفرح بها، وليست الدنيا من حاجتي، فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: معالم التنزيل (ج ٣/ ص ٥٠٤)، تفسير القرآن العظيم (ج ٣/ ص ١٧٢٣).

قال ابن المقفع: «القسم الذي يقسم للناس ويمتعون به نحوان: فمنه حارس، ومنه محروس. فالحارس العقل، والمحروس المال. والعقل -بإذن الله- هو الذي يحرز الحظ، ويؤنس الغربة، وينفي الفاقة، ويعرف النكرة، ويثمر المكسبة، ويطيب الثمرة، ويوجه السوق»<sup>(١)</sup>.

وقال: «الرجال أربعة: جواد، وبخيل، ومسرف، ومقتصد. فالجواد الذي يوجه نصيب آخرته ونصيب دنياه جميعاً في أمر آخرته. والبخيل الذي لا يعطي واحدة منهما نصيبها. والمسرف الذي يجمعهما لدنياه. والمقتصد الذي يلحق بكل واحدة منهما نصيبها.

وقال: أغنى الناس أكثرهم إحساناً»<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثاني: الفرح المذموم بالمال:

قال ابن المقفع: «وسوء حمل الغنى أن يكون عند الفرح مرحاً. وسوء حمل الفاقة أن يكون عند الطلب شرها. وعار الفقر أهون من عار الغنى. والحاجة مع المحبة خير من الغنى مع البغضة»<sup>(٣)</sup>.

الفرح بالإيمان وبالقرآن هو القيمة الأساسية التي يجب على البشرية أن تركز عليها، وتأخيرها في الأهمية عن الفرح بالمال دمار على البشرية.

(١) الأدب الصغير (ص ٢٩).

(٢) الأدب الصغير (ص ٦٠).

(٣) الأدب الصغير (ص ٢٧).



### \* هدف أعداء البشرية من عبّاد المال:

إن «الذين يركزون على القيم المادية، وعلى الإنتاج المادي، ويُغفلون تلك القيمة الكبرى الأساسية، هم أعداء البشرية الذين لا يريدون لها أن ترتفع على مستوى الحيوان وعلى مطالب الحيوان.

وهم لا يطلقونها دعوة بريئة؛ ولكنهم يهدفون من ورائها إلى القضاء على القيم الإيمانية، وعلى العقيدة التي تُعلق قلوب الناس بما هو أرفع من مطالب الحيوان - دون أن تغفل ضرورتهم الأساسية - وتجعل لهم مطالب أساسية أخرى إلى جوار الطعام والمسكن والجنس التي يعيش في حدودها الحيوان!

وهذا الصياح المستمر بتضخيم القيم المادية، والإنتاج المادي، بحيث يطغى الانشغال به على حياة الناس وتفكيرهم وتصوراتهم كلها، وبحيث يتحول الناس إلى آلات تلهث وراء هذه القيمة، وتعدّها قيمة الحياة الكبرى، وتنسى في عاصفة الصياح المستمر: «الإنتاج.. الإنتاج..» كلّ القيم الروحية والأخلاقية؛ وتدوس هذه القيم كلها في سبيل الإنتاج المادي.

هذا الصياح ليس بريئاً؛ إنما هو خطة مدبرة لإقامة أصنام تُعبد بدل أصنام الجاهلية الأولى؛ وتكون لها السيادة العليا على القيم جميعاً!

وعندما يصبح الإنتاج المادي صنماً يكدح الناس حوله ويطوفون به في قداسة الأصنام؛ فإن كل القيم والاعتبارات الأخرى تداس في سبيله وتنتهك: الأخلاق، الأسرة، الأعراض، الحريات، الضمانات... كلها إذا تعارضت مع توفير الإنتاج يجب أن تداس! فماذا تكون الأرباب والأصنام إن لم تكن هي

هذه؟ إنه ليس من الحتم أن يكون الصنم حجراً أو خشباً، فقد يكون قيمةً واعتباراً ولا فتة ولقباً!«<sup>(١)</sup>.

### \* أثر الفرح المذموم بالمال:

أولاً: أثره على سلوك الإنسان وأخلاقه:

إن الذين يتجاوزون بالمال عن قدره اللائق به؛

- تصيبهم عند فقده الأزمات النفسية التي أقلها الاكتئاب واليأس، وقد تصل بهم إلى فقدان العقل، أو ربما الانتحار.

- كما أن حصولهم على المال ينفخ نفوسهم بالبطر والفخر، الذي ينتج عنه التعالي على الناس والتعدي عليهم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ ۝٩ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ٩-١١].

والرحمة هنا كما قال الطبري: الرخاء والسعة في الرزق والعيش، يقول ابن جريج رحمه الله: «يا ابن آدم، إذا كانت بك نعمة من الله من السعة والأمن والعافية؛ فكفور لما بك منها، وإذا نزع منك نبتغي قَدْعَكَ<sup>(٢)</sup> وعقلك؛ فيئوس من رَوْح الله، قنوطٌ من رحمته، كذلك المرء المنافق والكافر».

(١) انظر: في ظلال القرآن (ج ٣/ ص ١٨٠٠-١٨٠١).

(٢) قَدْعُهُ، كمنعه: كَفَّه. القاموس المحيط (ص ٩٦٧).

وإن الإنسان لفرحٌ بالنعم التي يعطاها، مسرور بها، ذو فخر بما نال من السعة في الدنيا، وما بسط له فيها من العيش، وينسى صُروفها، ونكدَها، ويدع طلب النعيم الذي يبقى، والسرور الذي يدوم فلا يزول.

ثم استثنى جل ثناؤه من الإنسان الذي وصفه بهاتين الصفتين: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. فإنهم:

- إن تأتتهم شدة من الدنيا وعسرة فيها؛ لم يثنهم ذلك عن طاعة الله، ولكنهم صبروا لأمره وقضائه.

- فإن نالوا فيها رخاء وسعة؛ شكروه وأدّوا حقوقه بما آتاهم منها. ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ثانياً: أثره على علاقته بالله:

فمن أُعطي من الدنيا على معصيته وقسوة قلبه ونسيانه أمر الله؛ فإنما هو استدراج من الله له، وقد ينتظره الأخذ من الله على حين غفلة منه، والعياذ بالله.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾<sup>(٤٢)</sup> فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>(٤٣)</sup> فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ<sup>(٤٤)</sup> فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

[الأنعام: ٤٢-٤٥].

(١) انظر: جامع البيان (ج ١٠ / ص ١٢-١٣).

قال البغوي: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ تركوا ما وُعدوا وأمروا به ﴿ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وهذا فتح استدراج ومكر، أي: بدلنا مكان البلاء والشدة الرخاء والصحة، ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا ﴾ وهذا فرح بطر مثل فرح قارون بما أصاب من الدنيا، ﴿ أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ﴾ فجأة، آمن ما كانوا، وأعجب ما كانت الدنيا إليهم، ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ آيسون من كل خير<sup>(١)</sup>.

### \* قصة قرآنية:

هي قصة قارون وما أعطاه الله من مال، وكيف فرح به فرحا أنساه واجباته تجاه ربه سبحانه وتعالى وتجاه الناس، وهو مثال واضح للفرح المذموم بالمال. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ <sup>ط</sup>وَأَيْنَنَّهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوتُ بِالْعِصْبَةِ أُولَى الْفُقَرَاءِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ [لقمان: ٧٦].

وبغيه عليهم تجاوز حده في الكبر والتجبر عليهم، قاله الطبري. وكان في نصيحة الصالحين من قومه له تحذير من سلوكيات تجعل فرحه بالمال مذموماً، وحث على سلوكيات تضبط ذلك الفرح:

### \* فمن التحذير:

- قولهم: ﴿ لَا تَفْرَحْ ﴾ أي فرح بطر وأشر؛ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، ولا يؤدون الحقوق الواجبة عليهم في المال.

(١) معالم التنزيل (ج ٢، ص ١٢٣).

- وقولهم: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بأن تسيء إلى خلق الله، وتستعمل مالك في معصية الله بالظلم والبغي.

### \* ومن الحث على السلوكيات التي تضبط الفرح بالمال:

- قولهم: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾، أي: استعمل ما وهبك في طلب الجنة، بأن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه في رضا الله تعالى، ﴿وَلَا تَنْسِكْ نِصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: مما أباح الله فيها من المأكل والمشرب والملابس المساكن والمناكح؛ فإن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا، فآت كل ذي حق حقه.

- وقولهم: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي: أحسن بطاعة الله كما أحسن الله إليك بنعمته.. وأحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك، بأن تتصدق على الفقراء وتصل الرحم وتصرف في أبواب الخير.

- ومنه قولهم لمن تمنى مثل ما لقارون: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ فجزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترون، قال ابن جرير: وما يلقي هذه الكلمة إلا الصابرون عن محبة الدنيا، الراغبون في الدار الآخرة.

غير أن سبب بغي قارون أنه ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أي: على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلاً لذلك، ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره. ولهذا قال الله تعالى - رادًا عليه فيما ادعاه -: ﴿أَلَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ أي: قد كان من هو أكثر

منه مالا وما كان ذلك عن محبةٍ مِنَّا له، وقد أهلكهم الله مع ذلك بكفرهم وعدم شكرهم.

قال سهل: ما نظر أحد إلى نفسه فأفلح، والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل رؤية منَّة الله تعالى عليه في جميع الأفعال والأقوال، والشقي من زين في عينه أفعاله وأقواله وأحواله ولم يفتح له سبيل رؤية منة الله فافتخر بها وادعاهما لنفسه، فشؤمه يهلكه يوماً كما خسف بقارون لما ادَّعى لنفسه فضلاً<sup>(١)</sup>.

ففرح قارون كان شؤماً عليه، حيث أعمى بصيرته عن الحق، وتركه سادراً في غيه حتى أتاه عذاب الله وهو على ذلك، ﴿فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَابُ اللَّهُ لَا يَقْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ [القصص: ٨١-٨٣].

وهكذا كان فرحه بماله سبباً في هلاكه وشقائه، وصار عبرة لمن أراد أن يعتبر من الناس، حتى يعطوا المال قدره اللائق به في الحياة، من دون أن يتحول المال إلى معبود لهم يعيشون له ويحبون ويغضون من أجله، وفي هؤلاء يروي أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ وَعَبْدُ الْخَمِصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ

(١) انظر: تفسير الطبري (ج ١٩ / ص ٦١٦) ط. مجمع الملك فهد، معالم التنزيل (ج ٣ / ص ٥٤٣)، مدارك الترتيل (ص ٨٧٩)، تفسير ابن كثير (ج ٦ / ص ٢٥٣-٢٥٥) طبعة دار طيبة.

وَأَتَتْكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا أُنْتَقَشَ.

طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانٍ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشَعَتْ رَأْسُهُ مُغَبَّرَةً قَدَمَاهُ إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنَ لَهُ وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»<sup>(١)</sup>.

و«عبد الدينار هو طالبه الحريص على جمعه، القائم على حفظه، فكأنه لذلك خادمه وعبده.

قال الطيبي: قيل خصَّ العبد بالذكر ليؤذَنَ بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها، كالأسير الذي لا يجد خلاصاً...

فمن كان عبداً لهواه لم يصدق في حقه ﴿إِنَّا كَنَعْدُ﴾ فلا يكون من اتصف بذلك صديقاً<sup>(٢)</sup>.

فعلى العبد أن يقارن بين قيم الأشياء وبين المال؛ ليعطيه حجمه الذي يستحقه في الحياة، ورحم الله الداعية الحكيمة الشيخ مصطفى السباعي حين قال:

- من كان ماله أثر عنده من حياته؛ فهو أحمق.
- ومن كان ماله أثر عنده من كرامته وسمعته؛ فهو حقير.
- ومن كان ماله أثر عنده من أمته وبلاده؛ فهو مجرم.
- ومن كان ماله أثر عنده من عقيدته؛ فهو من المؤلفلة قلوبهم<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير. (ح ٢٨٨٧).

(٢) انظر: فتح الباري (ج ١١ / ص ٢٥٤).

(٣) هكذا علمتني الحياة. الدكتور مصطفى السباعي (ص ٢٩٤).

### المطلب الثالث: ضابط الفرح بالمال:

إن الأرزاق المادية، والقيم المادية، ليست هي التي تحدد مكان الناس في هذه الأرض - في الحياة الدنيا - فضلاً عن مكانهم في الحياة الأخرى، وإنها يمكن أن تصبح من أسباب شقوة البشرية - لا في الآخرة المؤجلة ولكن في هذه الحياة الواقعة - كما نشهد اليوم في حضارة المادة الكالحة!<sup>(١)</sup>

«إن المنهج الذي يحكم حياة مجموعة من البشر هو الذي يحدد قيمة الأرزاق المادية في حياتهم، ويجعلها عنصر سعادة أو عنصر شقاء، كما يجعلها سبباً للرفي الإنساني أو مزلقاً للارتكاس!

إن النقلة الأساسية التي تتمثل في هذا الدين هي إعتاق رقاب العباد من العبودية للعباد؛ وتحريرهم من هذه العبودية، وتعبيدهم لله وحده، وإقامة حياتهم كلها على أساس هذا الانطلاق الذي يرفع تصوراتهم، ويرفع قيمهم، ويرفع أخلاقهم، ويرفع حياتهم كلها من العبودية إلى الحرية.

ثم تجيء الأرزاق المادية والتيسيرات المادية، والتمكين المادي، تبعاً لهذا التحرر وهذا الانطلاق. كما حدث في تاريخ العصبة المسلمة، وهي تكتسح الجاهليات حولها، وتهيمن على مقاليد السلطان في الأرض، وتقود البشرية إلى الله، لتستمتع معها بفضل الله»<sup>(٢)</sup>.

ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى إذا بشر عباده بالرزق ذكرهم بأنه أحد دلائل قدرته على البعث، فيربطهم بالدار الآخرة: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ

(١) في ظلال القرآن (ج ٣ / ص ١٨٠٠).

(٢) انظر السابق.



بُشْرًا بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ [الأعراف: ٥٧].

ويقول عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ (٤٧) وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِهِ ۖ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسٍ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ [الفرقان: ٤٧-٥٠].

قال السباعي رحمه الله تعالى وهو يذكر ميزان التعامل مع المال:

- من استعان بماله على حفظ كرامته فهو عاقل.
- ومن استعان به على تكثير أصدقائه فهو حكيم.
- ومن استعان به على طاعة الله فهو محسن ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١).

ورحم الله معاوية بن أبي سفيان فقد أثر عنه أنه كان يلبس لكل حلة لبوسها: لا تبطره النعمة، ولا تحزنه النعمة، لا يغتم لحوادث لم تحدث، ولا يضيق ذرعا بما حدث، قال:

شئى وقاسيت فيه اللين والطبعا	قد عشت في الدهر ألوانا على خلق
ولا تعودت من مكروها جشعا	كُلًّا لبستُ فلا النعماء تبطرني
ولا أضيق به ذرعا إذا وقعا (٢)	لا يملأ الأمر صدري قبل مصدره

(١) هكذا علمتني الحياة (ص ٥٦).

(٢) الشخصية (ص ١٠٢ - ١٠٣).

فنخلص من هذا المبحث: إلى أن الفرح بالمال هو من الفرح المباح، وقد سماه الله في القرآن خيرا، وزينة - في معرض الامتنان على خلقه - غير أن الفرح بالمال لا بد أن لا يتجاوز به المرء قدرَ المال وقيمته الحقيقية، ولا يقدمه على ما هو أهم منه، أعني الفرح بالإيمان وبالقرآن الذي هو القيمة الأساسية، وتأخيرها في الأهمية عن الفرح بالمال دمار على البشرية.

ونخلص من هذا الفصل إلى أن الفرح المباح يصير محمودا بالنية الحسنة والأثر الطيب، ويصير مذموما بالدافع السيئ والأثر السيئ.



## الخاتمة

وتشتمل على:

أولاً: خلاصة الدراسة:

توصلت هذه الدراسة إلى:

١- أن الدافع: قوة داخلية تثير السلوك تحريكا وتوجيها إلى غاية أو هدف يرضيه.

٢- أن الفرح المحمود: هو ما كان فرحاً مطلوباً شرعاً، لما فيه من رضا الله سبحانه وتعالى ونفع الناس.

٣- أن للفرح المحمود صوراً، منها الفرح بالإيمان، والفرح بالقرآن، والفرح للإحساس بمعية الله سبحانه وتعالى، والفرح بما يناله أخوك من الخير.

٤- أن الفرح المذموم شرعاً مبناه وقاعدته: الفرح بمخالفة أمر الله عز وجل.. وأن الدافع عليه هو الغفلة عن الآخرة، وعدم التفكير في لقاء الله عز وجل وإيثار الدنيا عليها، مما يفقد الإنسان المعنى الحقيقي للحياة.

٥- أن للفرح المذموم صوراً، منها الفرح بالكفر، ومنها: الفرح بالنفاق: وأن القرآن الكريم والسنة النبوية قد بينا مخاطر النفاق، وصفات المنافق؛ للتحذير من مكر المنافقين، ومن الاتصاف بصفاتهم.

٦- وأن الفرح بمصائب المسلمين صفة مشتركة بين الكفار المشركين، خاصة منهم أهل الكتاب، وبين المنافقين.. و الدافع لهم على ذلك هو شدة

عداوتهم وبغضهم للمسلمين، مع حسدهم على نعم الله الدينية والدينية التي حباهم الله بها.

٧- أن الفرح بمعصية الله قبيح ومذموم، ولا يصدر من إنسان ينتسب إلى الإسلام إلا بأحد دافعين: إما النفاق، وإما الكبر، وكلاهما داء مهلك، ومسقط للعبد من نظر الله سبحانه وتعالى.

٨- أن من الفرح فرحاً لا يمكن أن نذمه مطلقاً، ولا أن نمدحه مطلقاً، وإنما هو من الفرح الذي جُبِلَ عليه الإنسان حين ينال نعمةً، أو حين تندفع عنه نقمة.. وهو فرح مباح ولا شك، غير أنه قد يتعلق بمحسوب لله فيصير فرحاً محموداً، وقد يتعلق بما يبغضه الله فيصير فرحاً مذموماً.

٩- أن أساس الفرح المباح هو الفرح بالدنيا، فهو يصير مذموماً إذا كان ينسي الآخرة، أو كان فرحاً مشوباً بأشر وبطر.. ويكون ممدوحاً إذا لم يحزن الإنسان على ما يفوته منها حزناً يوصله للجزع، ولم يفرح بما يناله منها فرحاً يقوده للبطر، بل يكون حزنه مع الصبر، وفرحه مع الشكر.

١٠- أن من صور الفرح المباح: الفرح بتفريج الهم وقضاء الحوائج وتيسير الأمور. والفرح بالعلم النافع، ومنها الفرح بالقوة البدنية، ومنها الفرح بالمال.

### ثانياً: التوصيات:

في ضوء ما توصلت إليها هذه الدراسة، يوصي الباحث بما يلي:

١- قراءة القرآن بالتدبر لمعانيه؛ ليعرف المسلم من خلاله الأمور التي تستحق أن يفرح بها الإنسان، والأمور التي لا تستحق ذلك، وليعرف في أنواع الفرح المحمود والمذموم والمباح.

٢- الحرص على إيصال الخير للناس؛ لينال الأجر بذلك، ولتعود نفسه على الفرح بما يحصلون عليه من الخير، وبالتالي تتخلص نفسه من داء الحسد.

٣- التفكير في الآخرة، وعدم نسيانها؛ حتى لا يقع المسلم في الفرح المذموم.

٤- تحويل كل فرح مباح إلى فرح محمود بتصحيح النية والقصد، وإرادة وجه الله.

٥- العناية بالعلوم النافعة في مختلف التخصصات التي تحتاجها الأمة، ودفع الأبناء إلى مواصلة طلب العلم، مع تذكيرهم بالهدف منه: وهو الرقي بالمجتمع، وحصول الاكتفاء الذاتي، للأمة وتحقيق رضا الله.

٦- العناية بالقوة البدنية لكل أفراد المجتمع المسلم، من خلال التغذية السليمة، والرياضة المناسبة، ومداواة المريض، والوقاية من الأمراض المعدية، وكل وسائل التلوث.

٧- الاهتمام بتهذيب أخلاق الشباب، وتذكيرهم بنعمة القوة من الله؛ حتى لا يستخدموها في معصية الله.

٨- السعي في كسب المال الحلال، و تعليم الناس أن المال إنما هو لنفع الناس لا للتباهي به، ولا لصرفه فيما يضر أو فيما لا ينفع.

### ثالثاً: المقترحات:

١- التوجه إلى دراسة القرآن الكريم دراسة متأنية؛ لاستخراج كل ما يعالج النفوس ويشخصها؛ لأن القرآن الكريم كلام الله الذي خلق البشر وهو أعلم بهم، وهو القائل سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

٢- إعداد دراسة تجمع كلام المفسرين في موضوعات علم النفس التي تناولتها الآيات القرآنية؛ ليخرج الباحثون بصورة أشمل وأدق لمعرفة مراد الله سبحانه وتعالى.

٣- التركيز في معالجة القضايا النفسية على القرآن أولاً، مع عدم إغفال ما وصل إليه العلم الحديث من نتائج، ما دامت غير مصطدمة بآيات القرآن؛ لأن ما وصل إليه البشر اجتهاد، وما جاء في القرآن الكريم مقطوع به.

٤- القيام بدراسة متوسعة ودقيقة لموضوعات: الفرح والحزن، والرضا والسخط، والغضب والحلم، وغيرها من قضايا النفس، بالنظر في واقع الناس، والظروف التي تؤثر في سلوكهم، وفي دوافعهم؛ ليكون العلاج لقضاياهم النفسية والتربوية ناجعا.

٥- دراسة سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وسيرته العطرة، وسيرة أصحابه الذين يمثلون التطبيق العملي السليم لهذا الدين العظيم؛ وذلك من أجل الاستفادة والاستعانة على تحقيق الفهم السليم لكلام الله تعالى فيما يتعلق بعلم النفس؛ ذلك أن كل ما قاله الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو فعله فهو مما فهمه من القرآن الكريم.

## قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع الأخرى:

١- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المالكي (ت ٥٤٣هـ) تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط الثالثة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢- أدب الدنيا والدين، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي (ت ٤٥٠هـ)، حققه: ياسين محمد السوَّاس، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣- الأدب الصغير. ابن المقفع ت. الأستاذ أحمد زكي باشا. جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية ١٣٢٩هـ ١٩١١م.

٤- أساس البلاغة، للإمام العلامة جارالله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

٥- أساليب البحث العلمي. منظور تطبيقي. د. فايز النجار وآخرون، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط ٢٠٠٨م.

٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي (ت ٤٦٣هـ) دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ بهامش كتاب الإصابة.



- ٧- أسنى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، للدكتور علي محمد الصلابي، دار الفجر للتراث - القاهرة ط الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٨- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.
- ٩- أصول السنة للحافظ أبي بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى الأسدي الحميدي (ت ٢١٩هـ) تحقيق الدكتور عبد الله بن سليمان العقيلي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ١٠- أصول علم النفس. د/ أحمد عزت راجح (ت ١٩٨٠م). دار المعارف ط. الحادية عشرة ١٩٩٩م.
- ١١- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تأليف خير الدين الزركلي (ت ١٩٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة مايو ٢٠٠٢م.
- ١٢- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي (ت ١٣٧٧هـ) تحقيق أحمد علي مدخلي، مكتبة الرشد ناشرون الطبعة السادسة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ١٣- الأغاني. لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق إحسان عباس وآخرين. دار صادر. بيروت. ط. الثالثة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ١٤- الإفصاح عن معاني الصحاح. الإمام يحيى بن هبيرة الذهلي الشيباني، (ت ٥٦٠هـ). تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد. دار الوطن. ١٤١٧هـ.
- ١٥- الإكليل في استنباط التنزيل، تأليف الإمام جلال الدين السيوطي

(ت٩١١هـ)، تحقيق عادل شوشة، راجعه الشيخ مصطفى العدوي، مكتبة فياض، المنصورة مصر ط الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١٦- إيثار الحق على الخلق، في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، تأليف أبي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني المعروف بابن الوزير (ت٨٤٠هـ)، دار الكتب العلمية، ١٣١٨هـ.

١٧- الإيمان الأوسط تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨هـ) تحقيق أبي يحيى محمود أبو سن، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٨- الإيمان بالخالق والعلم. اقتباسات موثقة لمشاهير العلماء في العصر الحديث تأليف جوردن ليدنر. ترجمة مركز دلائل. الرياض. ط. الأولى ١٤٣٨هـ.

١٩- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف الإمام محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق محمد حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٠- بريق الجمان بشرح أركان الإيمان، تأليف الدكتور محمد محمدي النورستاني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٢١- البيان والتبين، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط الأولى ٢٠١٠م.

٢٢- التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف الحافظ محمد بن أحمد بن جزيّ

الكلبي الغرناطي، المكتبة العصرية بيروت، تحقيق رضا فرّج الهمامي، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٢٣- التصاريّف، تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه. تأليف يحيى بن سلام البصري ثم المغربي (ت ٢٠٠هـ)، تحقيق / هند شلبي. ط: الشركة التونسية للتوزيع ١٣٩٨هـ.

٢٤- كتاب التعريفات. للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ). تحقيق الدكتور محمد عبد الرحمن المرعشلي. دار النفائس بيروت. ط: الثانية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢٥- تفسير ابن أبي حاتم للإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧ هجرية. المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

٢٦- تفسير التحرير والتنوير، تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ت ١٣٩٣هـ، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

٢٧- تفسير الجلالين، للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٢٨- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [ت ٧٧٤هـ] وزارة الأوقاف القطرية، الناشر: مؤسسة الريان للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢٩- تقريب التهذيب الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت

- ٨٥٢هـ) اعتنى به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، عمّان ٢٠٠٥م.
- ٣٠- التكفير وضوابطه، تأليف إبراهيم بن عامر الرحيلي، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت الطبعة السادسة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- ٣١- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي المعروف بمسكويه (ت ٤٢١هـ). تحقيق د. نواف الجراح. دار صادر. بيروت. ط. الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٣٢- تهذيب التهذيب الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٣٣- التيسير بشرح الجامع الصغير، تأليف / الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الطبعة الثالثة.
- ٣٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي [ت ١٣٧٦هـ] تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار ابن حزم، بيروت، ط الأولى ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.. وأحيانا أرجع لطبعة جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.. وأحيانا لطبعة الرسالة وأبين هذه في الغالب.
- ٣٥- جامع البيان في تأويل آي القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، ضبط وتعليق: محمود شاکر، تصحيح علي عاشور، دار إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م. وإذا رجعت إلى غيرها بينته.

٣٦- جامع البيان في تفسير القرآن، للعلامة السيد معين الدين محمد بن عبد الرحمن الحسيني الإيجي الشافعي، (ت٨٩٤هـ)، راجعه صلاح الدين مقبول أحمد، شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣٧- جامع الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ) ط، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض ط. ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣٨- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٣٩- الجامع في متون العقيدة والتوحيد، المكتبة الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٤٠- الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، تحقيق عبد الرزاق المهدي.

٤١- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تأليف: السيد أحمد الهاشمي (ت١٩٤٣هـ)، اعتنى به وراجعته: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية ٢٠٠٦م-١٤٢٧هـ.

٤٢- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تأليف السيد أحمد الهاشمي، تحقيق وشرح الدكتور محمد التونجي، مؤسسة المعارف، بيروت،

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤٣ - حاشية مسند الإمام أحمد، لأبي الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السّندي (ت ١٣٨هـ)، تحقيق نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٤٤ - خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري (ت بعد ٩٢٣) اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٥ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. الإمام: أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ). تحقيق: عبد المعطي قلعجي. دار الكتب العلمية بيروت. ط: الأولى. ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٤٦ - الدوافع النفسية. د/ مصطفى فهمي. مكتبة مصر ط/ الرابعة ديسمبر ١٩٦٠م.

٤٧ - سنن أبي داود، تصنيف الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) علق عليه وحكم على أحاديثه الألباني، اعتنى به مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. ١٤٢٤هـ.

٤٨ - سنن الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، حكم على أحاديثه وعلق عليه الألباني، اعتنى به مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط الثانية ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٤٩ - سنن النسائي، تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي الحافظ (ت ٣٠٣هـ)، حكم على أحاديثه وعلق عليه الألباني، اعتنى

به مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط الثانية ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٥٠- السيرة النبوية. الإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ). تحقيق وشرح مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي. دار ابن كثير. دمشق. ط. الثالثة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٥١- الشخصية، لمحمد عطية الأبراشي، طبع دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م.

٥٢- الشخصية، أنواعها، أمراضها، وفن التعامل معها، د/ سعد رياض، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، ط الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٥٣- الشخصية السيكوباتية، إعداد الأستاذة / أ. علي راجح بركات، إلى قسم علم النفس في جامعة أم القرى ضمن برنامج الدكتوراه.

٥٤- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي (ت ٤١٨هـ) تحقيق الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثامنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٥٥- شرح العقيدة الطحاوية، تأليف الإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (ت ٧٩٢هـ) تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط والدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٥٦- الشعر والشعراء. عبد الله بن محمد بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ). تحقيق أحمد شاكر. دار الحديث القاهرة. ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٥٧- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد

الجوهري، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - لبنان الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٥٨- صحيح ابن خزيمة المسمى: المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، تأليف إمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، (ت ٣١١هـ)، غني به الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، مكتبة الأعظمي الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٥٩- صحيح الأدب المفرد للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة الريان بيروت، الطبعة السابعة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٦٠- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦١- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت ٢٦١هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٦٢- طريق الهجرتين وباب السعادتين، تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، (ت ٧٥١هـ)، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة الشؤون الدينية - دولة قطر.

٦٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٦٤- فتح الباري (٦/ ٤٧٢) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت-



- ٨٥٢هـ، ط: دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ، مصورة عن الطبعة السلفية.
- ٦٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير تأليف عبد الرؤوف المناوي  
الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر الطبعة الأولى، ١٣٥٦.
- ٦٦- في ظلال القرآن. سيد قطب [ت ١٩٦٦م] دار الشروق، الطبعة الشرعية  
العاشر ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- ٦٧- القاموس المحيط. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي  
ت ٨١٧هـ. مؤسسة الرسالة. الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- ٦٨- كتاب الإيمان، تصنيف الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي  
شيبه (ت ٢٣٥هـ) تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت،  
الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٦٩- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه  
التأويل. للإمام محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٢٨هـ) مطبعة الاستقامة  
بالقاهرة. اعتنى به وبحواشيه مصطفى حسين أحمد.
- ٧٠- الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. لأبي البقاء أيوب  
بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ). اعتنى به: د/ عدنان درويش و محمد  
المصري. مؤسس الرسالة ناشرون.
- ٧١- لباب النقول في أسباب النزول، للحافظ وجلال الدين عبد الرحمن  
بن كمال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ،  
١٩٩٨م، بهامش تفسير الجلالين.
- ٧٢- لسان العرب. جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ).

دار صادر. بيروت. ط. السادسة ٢٠٠٨م.

٧٣- لسان الميزان للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) -  
الناشر: مؤسسة الأعلمي للطبوعات - بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ -  
١٩٨٦م.

٧٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر  
الهيثمي ت ٨٠٧هـ، مع تحقيقه: بغية الرائد، عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر،  
بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٧٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن  
عطية الأندلسي (ت ٥٤١هـ)، تحقيق وتعليق الرحالة الفاروق وعبد الله الأنصاري  
وآخرين، طبع وزارة الأوقاف القطرية، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٧٦- مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر  
الرازي الحنفي (ت بعد ٦٦٠هـ) اعتنى به: نجوى أنيس ضو، دار إحياء التراث  
العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٧٧- مختصر الفوائد في أحكام المقاصد، المعروف بالقواعد الصغرى،  
تأليف سلطان العلماء أبي محمد عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي  
(ت ٦٦٠هـ) تحقيق الدكتور صالح بن عبد العزيز آل منصور، دار الفرقان للنشر  
والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧٨- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، للإمام أبي البركات  
عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧١٠هـ)، اعتنى به عبد المجيد طعمة  
حلبى، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٧٩- مرقاة المفاتيح للعلامة علي بن سلطان القاري (ت١٠١٤هـ) شرح مشكاة المصابيح، تحقيق الشيخ جمال عيتاني، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٨٠- المستدرک علی الصحیحین للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ) رحمهما الله، بإشراف د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة بيروت - لبنان (مصورة عن الهندية).

٨١- مسند الإمام أحمد ابن حنبل (ت٢٤١هـ) المطبعة الميمنية، مصر، ١٣١٣هـ.

٨٢- مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٨٣- المصباح المنير. أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ (ت٧٧٠هـ)، المكتبة العصرية. اعتنى بها / يوسف الشيخ محمد. ط. الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٨٤- معالم التنزيل. الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت٥١٦هـ). دار إحياء التراث العربي. ت/ عبد الرزاق المهدي ط الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٨٥- معجم التعريفات للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة (د.ت).

٨٦- المعجم الوسيط. إبراهيم أنيس وآخرون. مجمع اللغة العربية. طبع

المكتبة الإسلامية استانبول. ط الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٨٧- مفردات ألفاظ القرآن. الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق/ صفوان داوودي. دار القلم دمشق ط: الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٨٨- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تأليف أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الحافظ، الأنصاري القرطبي، شيخ القرطبي صاحب التفسير (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق محيي الدين مستو ويوسف علي بديوي وآخرين، دار ابن كثير دمشق، ط. الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٨٩- المنشور في القواعد، تأليف بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق الدكتور تيسير فائق، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٩٠- المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق بيروت، الطبعة التاسعة والثلاثون ٢٠٠٢م.

٩١- منهاج العابدين، الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٣٧هـ.

٩٢- المنهاج، في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: د/ محمد عبد الرحمن مرعشلي، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، والإحالة موافقة للمطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ، ١٩٢٩م.

٩٣- موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا أبي بكر عبد الله بن محمد القرشي (ت

- ٢٨١هـ) المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
- ٩٤- الموسوعة الشعرية للكاتب والأديب والواعظ والخطيب، جمعها: بدر بن عبد الله بن عبد الكريم الناصر، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٩٥- النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الجزري (ت-٨٣٣هـ)، دار الكتاب العربي، إشراف الشيخ/ علي الضباع.
- ٩٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام ابن الأثير مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت-٦٠٦هـ)، تحقيق محمد محمود الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.
- ٩٧- هكذا علمتني الحياة. الدكتور مصطفى السباعي (ت-١٩٦٤م). دار الوراق ودار النبراس للطباعة والنشر. الرياض. ط. الثانية ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- ٩٨- ﴿وَلَتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ قراءة في الاستراتيجية الغربية لحرب الإسلام بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م. تأليف الدكتور محمد يسري إبراهيم، دار اليسر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

## فهرس الموضوعات

الموضوع	صفحة
الإهداء.....	٥
كلمة شكر.....	٧
الفصل التمهيدي.....	٩
الفصل الأول: الفرح المحمود.....	٢١
المبحث الأول: الفرح بالإيمان والتقوى.....	٢٣
المطلب الأول: تعريف الإيمان وتعريف التقوى.....	٢٣
المطلب الثاني: سبب الفرح بالإيمان والتقوى.....	٢٤
المبحث الثاني: الفرح بالقرآن.....	٣٥
المطلب الأول: الأصل في الفرح بالقرآن:.....	٣٥
المطلب الثاني: من المخاطب بقوله تعالى: ﴿فَإِذْ لَكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ ؟ ..	٣٩
المطلب الثالث: دوافع الفرح بالقرآن الكريم.....	٤٠
المبحث الثالث: الفرح بالولد الصالح.....	٥٣
المطلب الأول: أنموذج نبوي في الفرح بالولد الصالح.....	٥٣
المطلب الثاني: دعوة عباد الرحمن بالولد الصالح.....	٥٥
المبحث الرابع: الفرح بمعية الله سبحانه وتعالى، وبنصره، وبهلاك	
الظالمين.....	٥٧
المطلب الأول: الفرح بمعية الله سبحانه وتعالى.....	٥٧

المطلب الثاني: الفرع بالنصر على الأعداء .....	٦٦
المطلب الثالث: الفرع بهلاك الظالمين .....	٧٠
المبحث الخامس: فرح المؤمن بما ينال غيره من الخير .....	٧٥
المطلب الأول: الحزن على الضالين من الناس .....	٧٥
المطلب الثاني: الفرع بهداية الناس ونفعهم .....	٧٨
المطلب الثالث: استبشار الشهداء بإخوانهم السائرين على نهجهم ..	٨٢
الفصل الثاني: الفرع المذموم .....	٨٥
المبحث الأول: حقيقة الفرع المذموم والدافع عليه .....	٨٥
المطلب الأول: حقيقة الفرع المذموم .....	٨٥
المطلب الثاني: الدافع على الفرع المذموم .....	٨٦
المبحث الثاني: الفرع بالكفر - عياداً بالله - .....	٩٣
المطلب الأول: تعريف الكفر .....	٩٣
المطلب الثاني: الدافع على الفرع بالكفر .....	٩٣
المطلب الثالث: من آثار الفرع بالكفر .....	٩٥
المبحث الثالث: الفرع بالنفاق .....	١٠٣
المطلب الأول: تعريف النفاق .....	١٠٣
المطلب الثاني: من صور الفرع بالنفاق .....	١٠٣
المطلب الثالث: من آثار الفرع بالنفاق .....	١٠٥
المطلب الرابع: سمات المنافق عند علماء النفس .....	١٠٩

- المبحث الرابع: الفرح بالمعصية..... ١١٣
- المطلب الأول: أثر المعصية على نفس المؤمن ..... ١١٣
- المطلب الثاني: الفرح بالمعصية بدافع النفاق ..... ١١٥
- المطلب الثالث: الفرح بالمعصية بدافع الكبر ..... ١٢١
- الفصل الثالث: الفرح المباح..... ١٢٧
- المبحث الأول: الفرح بالدنيا ..... ١٢٧
- المطلب الأول: ضابط ذم الفرح بالدنيا ..... ١٢٨
- المطلب الثاني: ضابط جواز الفرح بالدنيا..... ١٣١
- المبحث الثاني: الفرح بتفريغ الهم وقضاء الحوائج ..... ١٣٧
- المطلب الأول: فرح يعقوب بعودة يوسف عليهما السلام..... ١٣٧
- المطلب الثاني: فرح أم موسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم  
بعودته إليها..... ١٣٨
- المطلب الثالث: الفرح بالولد..... ١٤٣
- المبحث الثالث: الفرح بالعلم ..... ١٤٩
- المطلب الأول: الفرح المحمود بالعلم ..... ١٤٩
- المطلب الثاني: الفرح المذموم بالعلم ..... ١٥١
- المبحث الرابع: الفرح بالقوة ..... ١٧١
- المطلب الأول: تعريف القوة ..... ١٧١
- المطلب الثاني: الفرح المحمود بالقوة..... ١٧٢
- المطلب الثالث: الفرح المذموم بالقوة ..... ١٧٤



المبحث الخامس: الفرع بالمال .....	١٧٧
المطلب الأول: الفرع المحمود بالمال .....	١٧٨
المطلب الثاني: الفرع المذموم بالمال .....	١٧٩
المطلب الثالث: ضابط الفرع بالمال .....	١٨٧
الخاتمة .....	١٩١
قائمة المصادر والمراجع .....	١٩٥
فهرس الموضوعات .....	٢٠٩

## هذا الكتاب

من الانفعالات النفسية التي لا تفارق الإنسان، إما أن يعيشها وإما أن يسعى إلى أن يعيشها: الفرح، وهي من الأهمية بمكان؛ حيث إن الفرح لا يوجد إلا بمتغيرات مؤثرة، وهذه المتغيرات تختلف من شخص لآخر.

وقد اخترت هذا الموضوع؛ لأنني رأيت الناس جميعاً يسعون إلى تحقيق السعادة والفرح والسرور، ويفرون من الهم والحزن والتعاسة.

ولأن الحياة ستكون أكثر ملاءمة وهدوءاً وسعادة إذا أعطى الإنسان للأشياء التي يفرح بوجودها ويحزن على فقدانها حجمها المناسب؛ فإن كثيراً مما يظن بعض الناس أن الفرح يتحقق بالحصول عليه؛ يعيش بدونه أناس آخرون وهم سعداء.

كما أن التوازن في هذا الموضوع يُكسب المجتمع أثراً إيجابية يولدها الفرح المحمود، ويخلصه من الآثار السلبية التي يفرزها الفرح المذموم.

وتكمن أهمية الموضوع من حيث إنه يدرس ظاهرة نفسية من خلال الآيات التي تناولت هذه الظاهرة، ويستند إليها استناداً كلياً؛ لأنها كلام الحق سبحانه وتعالى خالق هذه النفوس، ودراسة هذا الموضوع -من خلال الآيات القرآنية- سيساعد في تجاوز الكثير من العوائق والصعوبات التي تواجهها الدراسات النفسية والاجتماعية.

فاقتصرت الدراسة على استقراء الآيات القرآنية التي تتحدث عن الفرح والكلمات المرادفة أو المكافئة له، وما يفسرها من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن كتب التفسير، وكتب علم النفس.



daradahriah



daradahriah.com



daradahriah@gmail.com